التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 196 السنة 22 - مارس 2024

فلسطين .. القضيّة التي أسقطت القناع

معرض التقدمي السنوي للكتب المستعملة

كعادته في كل سنة يعرض معرض التقدمي للكتب المستعملة مؤلفات نادرة ومتنوعة في الفكر والأدب والثقافة والتاريخ وكل حقول المعرفة.. المعرض مقام في مقرّ المنبر التقدمي بمدينة عيسى، ويستقبل زوّاره يومياً من السبت إلى الأربعاء، من 9 – 12 صباحاً، 5 – 8:30 مساءً

موقفنا

منبه أممي للعدالة

احتفل العالم في العشرين من فبراير / شباط الماضي باليوم العالمي للعدالة الاجتماعية، أحد الأيام التي اختارتها هيئة الأمم المتحدة، لتسليط الضوء على قضايا جوهرية تعني البشرية في عالم اليوم، وقد وصف هذا اليوم بأنه بمثابة «منبه أممي»، لصناع القرار وواضعي السياسات في العالم بصفة شاملة، وعلى مستوى كل بلد على حدة، للالتفات إلى هذه القضية عبر سياسات وتدابير تحقق العدالة في توزيع الثروات، وتضييق الهوات الشاسعة بين الغنى الفاحش الناتج عن تركز الثروات في أيدي حفن صغيرة، والفقر واسع النطاق على مستوى العالم، حيث تذهب بعض الإحصائيات للقول إن خمسة في المئة فقط من سكان الكوكب يستحوذون على ما لا يملكه خمسة وتسعون بالمئة من هؤلاء السكان.

إن مسألة العدالة الاجتماعية تعنينا في العالم العربي بصفة خاصة، من زاوية العلاقة الجدلية بينها وبين الاستقرار السياسي والمجتمعي، ناهيك عن الأمني بطبيعة الحال، حيث تعد منطقتنا في الظرف الراهن من أكثر مناطق العالم فوضى وعدم استقرار، فنشهد انهيار دول ذات سيادة كانت لها مكانة وتأثير، فتحولت إلى ساحات حرب وقتل وتدمير للبنى التحتية، وقبل هذا كله وبعده تأتي معاناة شعبنا الشقيق في فلسطين، التي تتوالى فصولها الموجعة والفاجعة، ولعل ما يشهده في قطاع غزّة اليوم من جرائم القتل والتدمير والتهجير والتجويع على أيدي الكيان الصهيوني الغاصب إلا أكبر دليل، حيث يعاني أكثر من مليوني فلسطيني، هم سكان القطاع، من هول الظروف التي فرضت عليهم.

يتعين الإقرار بأن الصاعق الذي فجّر الأوضاع في الكثير بلداننا العربية إنما يعود إلى استشراء الفساد وسوء الأوضاع المعيشية لقطاعات واسعة من المواطنين لم تنل حصتها العادلة من الثروات التي تزخر بها بعض البلدان المبتلاة اليوم بالحروب والصراعات، ولا يشير ما هو ظاهر من معطيات أنه جرى الاتعاظ من ذلك.

وقد أكّد البيان الصادر عن الجمعيات السياسية في البحرين، بمناسبة هذا اليوم، على تفاقم مشاعر الرفض وعدم الرضى للواقع المعيشي الذي تعيشه فئات واسعة من الشعب، بسبب ضعف الرواتب وارتفاع الأسعار وفرض الضرائب والبطالة ومحدودية الوظائف المجزية التي توفر للبحرينيين، مما يدفع الكثير منهم للعمل في وظائف متدنية أو أنشطة هامشية تهدد حياتهم المستقبلية، فعسى هذا «المنبه الأممي» ينبه إلى خطورة الإمعان في تجاهل معاناة المواطنين.

التقدمي

في بيان بمناسبة ذكرى ميثاق العمل الوطني

التقدمي: بات واضحاً مقدار التراجعات

دعا المكتب السياسي للمنبر التقدمي لفتح آفاق أرحب في مسيرة العمل الوطني في كافة المجالات في المرحلة المقبلة بما يلبي تطلعات وطموحات الشعب البحريني ويزيل العقبات التي تواجه الجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني.

وقال المنبر التقدمي بمناسبة الذكرى الـ 23 لميثاق العمل الوطني، بأنه: «بات واضحاً مقدار التراجعات في المكاسب التي تمت على إثر فترة الميثاق»، وتابع: « شكّل الميثاق نقلة في الإصلاح السياسي بعد التصويت الشعبي عليه في 14 فبراير عام 2001 والذي في ضوءه تحقق انفراج سياسي بجانب إطلاق سراح المعتقلين والسجناء السياسيين، وعودة المنفيين، وإعطاء زخم لحركة تأسيس الجمعيات السياسية ومنظمات المجتمع المدني».

وأكّد على: «إعادة النظر في أوضاع هذه الجمعيات والمؤسسات بما يحقق لها ذلك الزخم والذي شهده الجميع إثر انطلاقة الميثاق»، مشيراً إلى أن: «الحاجة باتت ملحة لتذليل ما تواجهه الكثير من هذه الكيانات ومحاولات تهميشها والتضييق عليها»، مشدداً على: «ضرورة العمل على تحقيق النهوض الفعلي المطلوب لها على غرار ما تحقق لها إثر انطلاقة الميثاق الوطني».

كما توقف المكتب السياسي أمام الذكرى 69 لتأسيس جبهة التحرير الوطني وثمّن مسيرتها الحافلة بالنضال الوطني طيلة تلك السنوات والتي فتحت مجالات العمل الوطني وحققت أهداف وطنية كانت ولا تزال باعثة على كامل الاعتزاز والتقدير.

ومن جهة أخرى، ثمّن المكتب السياسي موقف كتلة تقدّم البرلمانية بشأن مقترحها حول الحق بممارسة الحقوق السياسية والمدنية لأعضاء الجمعيات السياسية والمدنية بما فيها الجمعيات المنحلة بالمشاركة في مجالس الأندية ومنظمات المجتمع المدني، وأكد على أهمية رفع العزل السياسي عن العديد من المواطنين، كما شدد على تعزيز حرية ممارسة العمل السياسي والنقابي والتطوعي في المجتمع دون منغصات أو قيود مبطنة وأية أشكال تكبل أو تُعيق من تطوير الممارسة الديمقراطية والحريات العامة واحترام حقوق الإنسان.

عمالية التقدمي: العمالة البحرينية لا يجب أن تكون ضحية لسياسات خاطئة

تابع قطاع النقابات العمالية والمهنية بالمنبر التقدمي بقلق ما سيؤول إليه وضع العمال البحرينيين في شركة أوال الخليج «أوالكو» والبالغ عددهم 220 عاملاً على إثر إعلان خبر تصفية الشركة، ومن ثم محاولات إعادة هيكلتها، ووضع هؤلاء العمال لازال باعثاً على القلق والكثير من التساؤلات خاصة في ظل فصل 73 عاملاً بحرينياً ما يخشى معه أن يُشكل ذلك الدفعة الأولى من الذين سيتم فصلهم في هذه الشركة».

وشدد القطاع على: «ضرورة حفظ حقوق جميع العمال في هذه الشركة وفي أي شركة أخرى، وألا يكون العمال البحرينيين ضحايا لسياسات إعادة الهيكلة».

وجدد القطاع مطالبته بوضع ملف البحرنة، وتوفير الأمن والاستقرار الوظيفي للعمالة الوطنية في صدارة اهتمامات وأولويات الحكومة والمجلس النيابي والتعامل مع هذا الهدف باعتباره الأساس لخطة سياسية اقتصادية اجتماعية تتصل بوضع ومستقبل المجتمع والوطن الذي هو اليوم بأمس الحاجة لرفع مستوى تعامل الحكومة وكل الأطراف المعنية مع هذا الملف ومع ملفات أخرى عديدة.

كما شدد القطاع على: «بلورة الأمن والاستقرار الوظيفي للعمالة الوطنية، وتعزيز استقرار سوق العمل من خلال إجراءات وخطوات عملية واضحة تستهدف منع تسريح العمالة البحرينية تحت أي ذرائع كانت، وإيجاد البدائل التي تضمن ديمومة الأمن المعيشي في مستوى لائق وضمن مداخيل تتوافق ومتطلبات الحياة التي تُحفظ فيها كرامة المواطن»، تابع: « وإعادة النظر في العديد من السياسات والتشريعات بما يضمن تنشيط عمليات توظيف البحرينيين، ورفع تنافسية العامل البحريني، والاستقرار الوظيفي للعامل البحريني، وكل ما يحقق هدف المواطن أولاً في سوق العمل وعدم جعل العمال البحرينيين عرضة لسياسات خاطئة أو شعارات غير مجدية».

رفعت صورة عبدالناصر منددة بالعدوان الثلاثي على مصر

رحيـــل بـــدريـــة خلفـــان

نعى المنبر التقدمي المناضلة بدرية خلفان، أبرز رائدات العمل الوطني والنضال ضد المستعمر البريطاني، والكاتبة في صحافة الخمسينات، في ذروة النهوض الوطني الذي قادته هيئة الاتحاد الوطني (١٩٥٤ – ١٩٥٦)، والتي رحلت عنا في سلطنة عمان حيث تقيم مع عائلتها، وعبّر التقدمي عن صادق العزاء إلى عائلتها، وقال إن الفقيدة ألهبت الجماهير بخطبها الوطنية والحماسية، وسجلت علامة فارقة وحالة نوعية في نضال شعبنا، إذ أنها أول امرأة دخلت معترك النضال الوطني السياسي بفاعلية. وفتحت الطريق إلى انخراط النساء في حركة شعبنا ضد الاستعمار البريطاني. كما فتحت الطريق أمام ظهور الجمعيات النسائية وتبلور الحركة النسائية في البحرين من أجل النهوض بأوضاع المرأة وتقدمها، والتي تطورت خلال العقود التالية بشكل متسارع وفعال.

الباحثة د. سبيكة النجار في كتابها المشترك مع الباحثة فوزية مطر في كتابهما: «المرأة البحرينية في القرن العشرين»، أوردت معلومات عن حياة ودور الراحلة الكبيرة، على ضوء مقابلة سجلتها معها، حيث أشارت إلى أنها ولدت في فريج الفاضل، ودرست في مدرسة عائشة أم المؤمنين، وكان أخوها خليفة يشجعها على القراءة. ونقلاً عن الفقيدة أوردت النجار أنها كانت أول صوت نسائي في أول إذاعة في البحرين في منطقة التيل في الحورة كما نشرت مقالات في صحيفتي "القافلة» و»الوطن»، حيث شجعها أبرز روّاد الصحافة البحرينية محمود المردي وعلي سيّار.

عُرفت الفقيدة بدرية خلفان بمشاركتها في المظاهرات التي قادتها الهيئة، بدافع من حسها الوطني والقومي العروبي. وأهم مظاهرة شاركت فيها كانت في العام 1956 لنصرة مصر على أثر العدوان الثلاثي، وعن ذكرياتها عن تلك المظاهرة نقلت النجّار عنها قولها: «كنت أحمل صورة جمال عبد الناصر. وقد دفعني الحماس في تلك المظاهرة فألقيت خطاباً في الجماهير المحتشدة».

كتب المستشار البريطاني يومها تشارلز بلجريف في يومياته أنه جرى اعتقالها لأنها "أصبحت قائدة سياسية»، وبقيتْ في المعتقل لفترة تقارب الشهر، ثم طلب منها مغادرة البحرين، فذهبت إلى أخوالها في مدينة الخبر بالسعودية، حيث منعت من دخول البحرين لمدة عامين". ثم اضطرت للذهاب للعراق إلكمال دراستها الاعدادية وبعدها توجهت لمصر حيث أكملت المرحلة الثانوية. في القاهرة تركز نشاطها السياسي في إذاعة "صوت العرب»، موصلة قضية البحرين الوطنية، ومدافعة عن قادة الهيئة المنفيين إلى سانت هيلانة.

بدرية خلفان

عملت بعد تخرجها من الجامعة مدرسة في مدرسة في الرفاع. وبعد زواجها انتقلت للسكن في دبي، قبل أن تنتقل إلى مسقط، حيث عملت في مجال التعليم وأصبحت مديرة إدارة الامتحانات في وزارة التربية بسلطنة عمان.

فضفضة

الشيخ والمسرح

عيسى الدرازي

على غرار رواية همنغواي «الشيخ والبحر» وبطلها الصياد سانتياغو، أستحضر سيرة شيخ المسرح التجريبي في البحرين الأستاذ والمعلم عبدالله السعداوي. لا أعلم تحديداً لماذا ارتبطت هذه الرواية تحديداً مع السعداوي في ذهني، وقد تكون صورة لهمنغواي نفسه على غلاف إحدى طبعات الرواية، للتشابه النسبي في اللحية الكثّة للرجلين. ربما!.

لست مؤهلاً للحديث عن ذكريات وحكايات جمعتني بالرجل، فمعرفتي الحقيقية به لا تتعدى السنوات، ولكن إحقاقاً للحق، كانت كل جلسة مع السعداوي تعتبر درساً متعدد الإتجاهات. مجموعة من الدروس في كلمات وتوجيهات قليلة مقتضبة، لذلك في حضرته يجب أن تكون منتبهاً منصتاً ملماً ليس فقط بما يدور في المسرح بل لما يدور في مسرح العالم ومسرح الحياة. هكذا كان.

ارتحل السعداوي وحيداً، كما الصياد سانتياغو، سبر أغوار البحار على مركبه المتواضع. ذهب بعيداً وجداً حيث لا أحد سوى السماء والماء على مدّ البصر، غالبته الشمس وحرارتها، وعاندته الرياح، وحاربه الموج، إلا أنه أصرّ على المواصلة. لم يعد أدراجه رغم الأضواء القريبة التي كانت على امتداد بصره في بعض الأحيان وقريباً جداً منها لو حاول الوصول إليها، إلا انه أصرّ على هدفه الأسمى، الذي غادر نحو البحر بسببه.

سنوات من البحر، قاصداً تلك السمكة التي سمع عنها الكثير والتي تحدث عنها الكثير من البحارة وأمهر الصيادين. سنوات الصبر والانتظار أثمرت وحاز على السمكة.. قبض عليها بين يديه، ولكن رحلة العودة للشاطئ كانت هي الأصعب والأبعد، كلما استمر في الإبحار نحو الشاطئ ثقلت السمكة أكثر وجاءت كائنات متطفلة تأكل منها، وهكذا قضمة بعد قضمة حتى باتت عظمة مجردة من اللحم.

المشهد الأخير من حياة السعداوي لم يكتب بعد، والكلمة الأخيرة لم تقل بعد، فما زال مسرح الصواري فاتحاً أبوابه لأبناء وأحفاد السعداوي لتحقيق حلمه ومواصلة إنجازه، وريّ تلك النبتة التي وضع بذرتها في كل شخص منا، لتخضر وتينع، وتثمر سؤالاً عبثياً لا جواب له.

الـــذكـــرى الـ 59 لانتفـــاضـــة مـــارس

في هذا الشهر، مارس، تمرُّ علينا الذكرى التاسعة والخمسون لانتفاضة مارس المجيدة عام 1965، التي تفجرت وتوسعت لتشمل مدن وقرى في البحرين، بسبب فصل شركة بابكو الخاضعة آنذاك للمستعمر البريطاني، المئات من العمال على دفعات، حتى وصل مجموعهم إلى حوالي ألف وخمسمائة عامل، حيث تأثرت المئات من العوائل البحرينية بسبب فصل عائلي الأسر، لهذا بدأت شرارة التظاهرات والاحتجاجات من طلبة مدرسة المنامة الثانوية للبنين، قبل أن تُقمعَ من قبل قوات شرطة الخيالة، وتخرج التظاهرات للشارع لتنتشر في المحرق والمنامة وانضمَّت إليهما بعض القرى.

قادت الانتفاضة الحركة الوطنية الديمقراطية البحرينية، (جبهة التحرير الوطني، حركة القوميين العرب، الناصريون والقوميون) وتجسدّت الوحدة الوطنية ليس في العمل الوطني المشترك، وإنما بالدم أيضاً عندما سقط الشهداء في المحرق والمنامة والنويدرات، حيث قُمعت الانتفاضة وزُجَّ بالعشرات من مناضلي الحركة الوطنية في غياهب السجون والمعتقلات لسنوات.

تتمثل عبر ودورس انتفاضة مارس المجيدة في أنها وحَّدت الحركة الوطنية البحرينية، عبر التنسيق والعمل المشترك في العديد من الفعاليات بما في ذلك البيانات المشتركة التي صدرت أثناء الانتفاضة، التفاف الجماهير البحرينية حول الانتفاضة من كل المكونات المذهبية، في مواجهة عسف وعنف وترهيب المستعمر البريطاني وأعوانه.

المجد والخلود لشهداء انتفاضة مارس 1965 المجيدة.

الذكرى السنوية لرحيل مجيد مرهون

صفحة مجيد مرهون، عازف السكسفون الحزين، ومانديلا البحرين، وأشهر سجين سياسي في تاريخ الوطن، لم تطو ولن تُطوى أبداً. سيظل مجيد مرهون كما كان فلذة من قلب هذا الوطن، إن أجيال الغد، كما أجيال اليوم، ستظل تستمع بفخر وإعجاب إلى أعماله السيمفونية الرائعة، التي طافت باسم البحرين في فضاءات العالم.

رجل نادر جمع بين الإبداع والنضال، فيه سيذكر البحرينيون وجهاً مضيئاً من وجوه نضالهم ضد الاستعمار البريطاني وآلته القمعية التي نكلت بالمناضلين من أجل الاستقلال الوطني والحرية والتقدم الاجتماعي، وبإقدام المناضل وجسارته حمل على عاتقيه اثنين وعشرين عاماً من السجن، الذي لم يفلح في ثني إرادته، مع أن السجّان جعله مكبلاً بالأصفاد في رجليه لعدة سنوات، ومن هذه المعاناة استوحى بعض مقطوعاته الموسيقية التي كنا نسمع فيها صليل الحديد وهو يجره في رجليه.

روى مجيد حكاية طفولته في حي العدامة بالحورة الذي ولد فيه، حي البسطاء المعدمين والكادحين المهمشين الذين كانوا يعيشون أسوأ أنواع شظف العيش، ويركضون لاهثين وراء لقمة العيش وكسرة الخبز، وخوفاً من الأمراض التي تحصد فيهم حصدا. في هذا الحي المبني من بيوت السعف والأزقة الضيقة، ولد مجيد مرهون في عز ظهيرة يوم قائض شديد الحرارة، كان ذلك بتاريخ 17 أغسطس عام 1945. يقول مجيد إن ذلك حدث بعد أسبوع واحد فقط من قيام القوات الأمريكية بإلقاء القنبلة الذرية الثانية على اليابان. وكانت الحرارة في ذلك اليوم على أشد ما يمكن تصوره، بسبب انتشار الغبار الذري في الغلاف الجوي حول العالم.

الفتى المنذور للإبداع، سيصبح منذورًا للنضال أيضا، في ذلك الزمن الجميل الذي كان المبدعون لا يجدون أنفسهم إلا في الانحياز لقضية شعبهم، وللنهج الثوري التقدمي المعبر عن التوق للحرية. أحد الشباب الذين كانوا يدرسون معه في مركز التدريب المهني في بابكو لكنه يسبقه بفصل واحد، وهو حسن علي محمد المحرقي، سيأخذ بيديه الى الفكر التقدمي، وبعد حين لم يطل بات مجيد على يقين من أن الميول والتوجهات الاشتراكية أقرب إلى قلبه وعقله.

حينها سؤل إن كان يرغب في الانضمام لجبهة التحرير الوطني المناضلة من أجل حقوق الطبقة العاملة والطبقات الفقيرة ولأجل الديموقراطية. يقول مجيد: «بدون تردد أعلنت رغبتي ولهفتي للانخراط فيها». ودفع ضريبة هذا الخيار حتى النهاية.

إن معاناة هذا الإنسان الصلب كالفولاذ والرقيق كوردة أو فراشة، العظيم في إبداعه ونبوغه الموسيقي والوديع في شخصه كطفل مسكون بالبراءة هي التعبير الأكثر بلاغة ودراماتيكية عن الثمن الباهظ الذي دفعه جيله من تضحيات، ابتدأت في عهد الحماية البريطانية واستمرت بعد انتهائها. وقد حوّل مجيد سنوات سجنه الطويلة إلى ورشة إبداع تثير الذهول، فخلف لنا مئات المقطوعات الموسيقية التي ما زال الجزء الأكبر منها لم يعزف بعد، كما انكبّ على وضع عمله الموسوعي الضخم: «القاموس الموسيقي» الذي صدر عن مركز الشيخ إبراهيم الخليفة في عدة أجزاء.

جانب من الحضور

في جلسة حوارية بالتقدمي

المعمري: من باب الأدب دخلتُ إلى عالم الإذاعة

استضاف التقدمي الأديب والإعلامي العماني سليمان المعمري في جلسة حوارية أدارها الدكتور حسن مدن، تناولت محطات حياته منذ البدايات، وتشكّل ملكة القصّ لديه منذ طفولته، وقراءاته الأولى، وولوجه مجال الإذاعة جنباً إلى جنب مع الكتابة الأدبية.

ردّاً على السؤال الأول حول تأثير بيئة النشأة على تكوّن ملكاته الأدبية قال المعمري إنه يرى بأن جدّه خليفة مبارك ووالدته فضيلة خليفة هما مَنْ غرسا في لاوعيه حبّ القص، فحكايات الجد والأم التي ورثت مهارة الحكي الشائق من والدها، جد سليمان، هي من ألهمت الصبي سليمان، يومها، ليس فقط بعوالمها الفنتازية والغريبة، بل أيضا بطريقتهما في الحكي وتقمصهما لأبطال الحكايات.

وحول الكتب الأولى التي أثّرت فيه وألهمته أشار، بشكل خاص، إلى روايتين: "العمر لحظة" ليوسف السباعي، و"الحب تحت المطر" لنجيب محفوظ .. فهاتان الروايتان هما بداية تعرفه على أن هناك بشراً قادرين على نسج حياة أفضل من الحياة التي نعيشها، حياة مليئة بالأمل والألم.

سنوات الجامعة

المصادفة وحدها هي من قادت سليمان المعمري إلى الالتحاق بقسم الفنون المسرحية بالجامعة، ورغم ميله يومها إلى كتابة الشعر، قال المعمري رداً على سؤال محاوره إن أستاذه في الجامعة هاني مطاوع رئيس قسم الفنون المسرحية كان يُعِدُّه ليصبح كاتباً مسرحياً من خلال تكليفه بإعادة كتابة بعض النصوص المسرحية الغربية برؤية

المعمري في ندوته بالتقدمي

عُمانية، الأمر الذي سيسفر لاحقاً عن كتابة مسرحيته الكوميدية اليتيمة "شكرا حاول مرة أخرى".

ورداً على سؤال حول بدايته في كتابة القصة، أجاب المعمري بأنه في سنته الجامعية الأخيرة كتب أول قصة كردة فعل على تجربة حب فاشلة كان عنوانها "شيء ما مزق قلب السنجاب"، غير أنه يعتبر قصته الثانية هي الأهم، وعنوانها: «إني أحسدك يا جابر"، فهي التي قدّمته قاصاً أمام الناس وأمام نفسه، وكانت تدور حول تجربته في البحث عن عمل بعد تخرجه من الجامعة، التي استمرت نحو عامين.

الذي لا يحب جمال عبدالناصر

عن روايته التي لاقت صيتاً واسعاً «الذي لا يحب جمال عبدالناصر»، قال المعمري إنها انطلقت من بورتريه كتبه عن شخصية وصفها بالعجيبة من المحيطين به، رجل مصري سبعيني، متدين، ولكنه لا يطيق مجرد اسم الزعيم جمال عبدالناصر، حيث استعاد بعضاً من حكاياته وقفشاته وسجلها على الورق .. وفي منتصف طريق الكتابة حرر تلك الشخصية من الواقعية، لتصبح شخصية خيالية، أضاف عليها من مخيلته وحذف، وإذا بالشخصية تتطور، والأحداث تتشابك، وشخصيات أخرى تولد وتنمو .. وتحوّل النص من بورتوريه سردي إلى رواية.

عبد الفتاح المنغلق

بعد فوز مجموعته «الأشياء أقرب مما تبدو في المرآة»، جاءت مجموعة المعمري الثانية "عبدالفتاح المنغلق لا يحب التفاصيل" التي يعدّها تجربة كتابية مختلفة، فلأول مرة يشتغل في مجموعة قصصية على شخصية واحدة .. ويبدو أن جزءاً من هذا "العبدالفتاح" كان مترسباً في أعماقه، واختار لهذه الشخصية اسم عبدالفتاح المنغلق ليشي بتذبذبه وضعفه في الحياة، انفتاحه عليها وانغلاقه في نفس الآن، وحين نبهه البعض بعد صدور المجموعة أنه - أي عبدالفتاح - يحب التفاصيل كثيراً، وليس كما يقول العنوان، شعر بالراحة لأن ذلك يعني أنه لم يعد يمثله وحده.

بين الأدب والإعلام

ورداً على السؤال حول جمعه بين الأدب والإعلام قال المعمري إن اهتماماته منذ أن كان طالباً في جامعة السلطان قابوس كانت ثقافية (تحديدًا أدبية)، فقد كان هذا هو الباب الذي دخل من خلاله إلى إذاعة سلطنة عُمان، بإعداد برنامج ثقافي كمتدرب عن عباقرة مخرجي المسرح في القرن العشرين عام، فيما استمرّ في كتابة القصة ومتابعة المشهد الثقافي العُماني باهتمام، ما جعل منه يتحوّل لاحقاً إلى اعداد عدد من البرامج الإذاعية والثقافية، خاصة بعد تعيينه رئيسًا لقسم البرامج الثقافية في الإذاعة، ومن برامجه المعروفة: كتاب أعجبني، نوافذ ثقافية، من مسافة قريبة، القارىء الصغير، الموجه للأطفال.

أوال الخليج للصناعات تبدأ في تسريح 70 عاملاً

بدأت شركة «أوال الخليج للصناعات» بتسريح موظفيها، وسط غياب أي مساعٍ حقيقية لانتشالها من مستنقع نقص السيولة واستحقاقات القروضً التي تثقل كاهل الشركة ويضطرها للإغلاق بعد أكثر من 50 عاما من النشاط.

وبحسب مصدر في الشركة، فإن سيولة الشركة لدفع الرواتب الشهرية شارفت على النفاد، وأنها لن تتمكن من دفع رواتب شهر فبراير، الأمر الذي اضطرها لبدء تسريح الموظفين، إذ استغنت الشركة عن 70 موظفا كدفعة أولى وفي انتظار مزيد من التسريحات في الأيام المقبلة والتي ستطول 760 موظفا من بينهم نحو 220 موظفا بحرينيا.

إلى ذلك، تنظر المحكمة في طلب "أوال الخليج" للتقدم إلى قانون إعادة التنظيم والإفلاس يوم غد الأربعاء، إذ أكملت الشركة جميع المتطلبات المستندية لبدء الإجراءات، لكن المحكمة أجلت النظر؛ من أجل إبلاغ الخصوم. وحتى إن تمت الموافقة على طلب التقدم إلى قانون الإفلاس والتنظيم، فإن أمين التفليسة والذي سيتم تعيينه من قبل المحكمة، قد لا يجد بدا من تسريح الموظفين مع نقص السيولة الحاد الذي تعاني منه الشركة، الأمر الذي لا يدع مجالا آخر إلا التحرك من قبل المقرضين أو تدخل حكومي عبر شراء حصص في الشركة.

ولدى الشركة مديونية تفوق 45 مليون دينار مستحقة لعدد من البنوك المحلية، بينما أن هناك قرابة 300 مورد ومقدم خدمة سيتأثر من أي قرار يتعلق بتوقف أنشطة "أوال الخليج". وتأتي هذه التطورات في ظل تحركات رسمية ونيابية لإنقاذ الشركة التي تعد من أنجح الشركات في مجالها على مدى الخمسين عاما الماضية، إذ انتكست في السنوات الخمس الأخيرة؛ بسبب مشكلات تتعلق بالتدفقات النقدية وعدم تسديد مستحقات لها في السوق، إلى جانب صعوبات تتعلق بأسواق خارجية.

«البلاد» – 14 فبراير 2024

حلقة حوارية بشأن» الضرائب وأثرها على أجور العمال»..... مشاركون:

الغيـــاب الملحـــوظ للحمـــايـــة الاجتمـــاعيـــة

أكد المتحاورون في الحلقة الحوارية التي عقدت على هامش المؤتمر العام الخامس للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، تحت عنوان « الضرائب وأثرها على أجور العمال» على أن الواقع القائم في الدول الخليجية والعربية يعكس الغياب الملحوظ للحماية الاجتماعية، وتزايد الضغط على الأوضاع المعيشية للأفراد، مشددين على الحاجة الملحة لإيجاد تواؤم بين السياسات التي تضعها الدول والتطلعات لتحقيق العدالة.

ودعا السيد ناصر الجريد رئيس المجلس التنسيقي للاتحادات واللجان العمالية الخليجي إلى ضرورة أن تكون هناك منظومة متكاملة، بحيث لا تكون الضريبة أشبه بالجباية على المواطن، بينما لا يجد أثرها الإيجابي على حياته، فلابد أن يتهيأ للمواطنين فرص الرعاية الاجتماعية اللازمة، وتعزيز دخله، وتحسين الوضع المعيشي له ولأسرته.

وانتقد الجريد تغييب الشراكة العمالية في القرارات الاقتصادية المهمة، والتي تؤثر على العامل واقتصاد البلد، مؤكدا أنه لا يمكن أن يكون الحديث عن الحماية الاجتماعية من دون إشراك ممثلي العمال في التوجهات والقرارات الهامة.

أكد السيد ألبرت يوسون الأمين العام للاتحاد الدولي للبناء والأخشاب ضرورة أن يتم الحرص على تقديم أجور لائقة للعمال، تتناسب مع أنماط الحياة، وأن تنعكس الحماية الاجتماعية في جودة التعليم والخدمات والحقوق التي يحصل عليها الافراد، على أن يتم مراعاة المساواة ومنع التمييز.

من جانبه قال الخبير الاقتصادي د.حسن العالي إن الغايات من فرض الضرائب في سوق العمل بالدول العربية انحرفت إلى غير مقاصدها، فبدلا من أن تكون أداة من أدوات السياسات المالية، وتسخر لخدمة برامج التنمية، أصبحت الحكومات العربية تستخدمها كمورد لسد العجز في موازناتها، دون النظر لتأثيراتها على سوق العمل.

بدوره قال الباحث الأكاديمي د.أحمد العنيسي أن العدالة الاجتماعية يجب أن تحقق التوزيع العادل للثروة، وضمان وصولها بشكل متوازن وعادل للأفراد، بناء على الاستحقاقات التي يقرها القانون، وأن تنعكس بشكل واضح على الخدمات الرئيسية مثل العمل والتعليم والرعاية الصحية.

شركة «جارمكو» تخسر قضيتها الدستورية الثالثة ضد النقابة

أشار رئيس نقابة عمال شركة الخليج لدرفلة الألمنيوم (جارمكو) سيد مجيد الحليبي لـ «البلاد» إلى أن الشركة طعنت لدى المحكمة الدستورية؛ وذلك لاعتراضها على قرار هيئة التحكيم العمالية الصادر في حكم سابق لمصلحة نقابة عمال «جارمكو»، والذي ينص على أحقية النقابة بمستحقات عمالية.

وبين أن محكمة التمييز أنصفت النقابة، وهذه الدعوى تعد الثالثة التي تقيمها الشركة ضد النقابة وهذه المرة لدى المحكمة الدستورية، والمحكمة أنصفت العمال برفض قبول الدعوى "منازعة التنفيذ الدستورية" المقامة ضد نقابة العمال، وألزمت الشركة المدعية بالمصاريف والأتعاب.

ولفت الحليبي إلى أن هذا الحكم يعد استحقاقا لدى نقابة عمال الشركة، علاوة على أنه حكم ايجابي لجميع عمال البحرين؛ كونه تثبيتا لهيئة التحكيم العمالي.

«البلاد» – 1 فبراير 2024

كاريكاتير
خالد الهاشمي

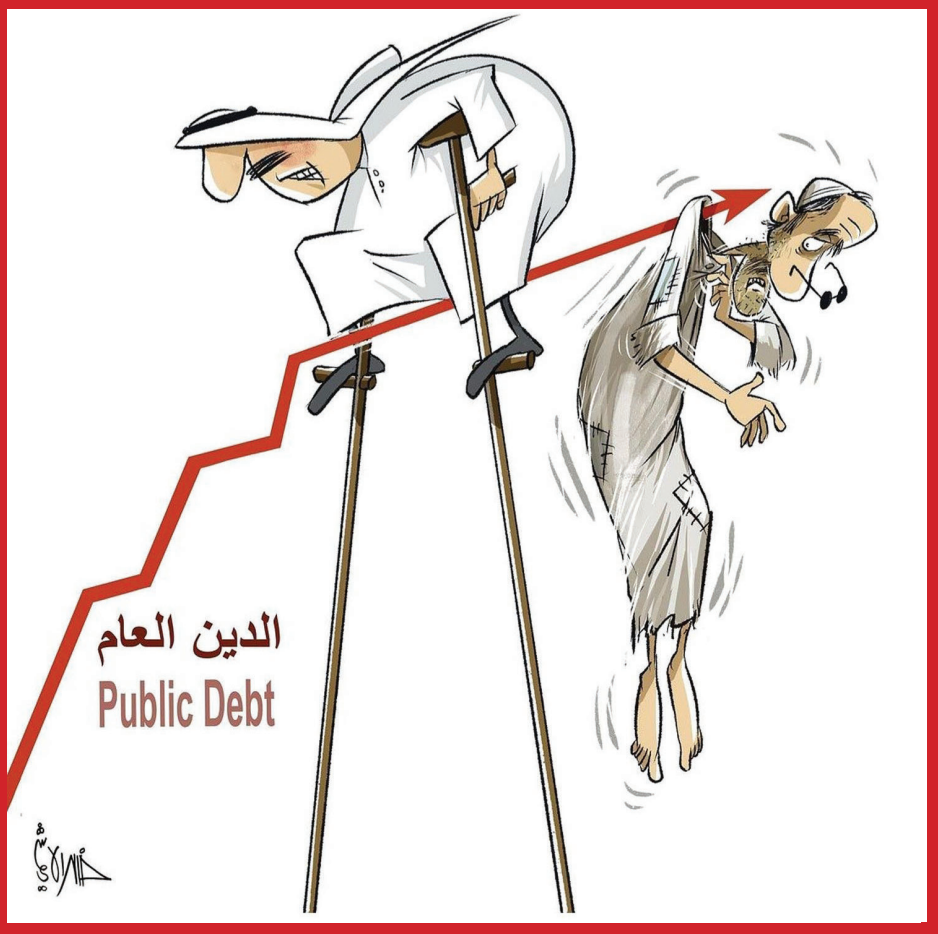

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

في المؤتمر العام لاتحاد النقابات:

العالم يواجه أزمات كبيرة جدًا والعمّال من أكبر ضحاياها

دعا الأمين العام للاتحاد عمال البحرين عبدالقادر الشهابي في كلمته خلال المؤتمر الخامس للمؤتمر للاتحاد، إلى استمرار الحوار الاجتماعي بين شركاء العمل والإنتاج، معربًا عن أسفه لعدم إجراء حوارات فعّالة في هذا المجال.

من جانبه، أكد الأمين العام للاتحاد الدولي للنقابات لوك تراينغل أن العالم يواجه أزمات كبيرة جدًا والعمّال من أكبر ضحاياها، مشدّدًا على ضرورة تقوية جميع الروابط بين المنظمات النقابية في جميع دول العالم؛ من أجل التصدّي للأزمات كافة وحماية حقوق العمال.

من جهته، أكد المدير العام لمنظمة العمل العربية فايز المطيري، في كلمته أمام المؤتمر، على الحاجة الماسّة اليوم لحركة عمّالية قوية متماسكة وموحّدة وفعّالة، تستجيب للتحديات وتتخطّى المعوقات.

أما مدير عام منظمة العمل الدولية جيلبير هونغبو فأكد في كلمته أن انعقاد مؤتمر الاتحاد العام لنقابات عمّال البحرين في هذه الأوضاع الاقتصادية العالمية الصعبة هو خطوة في الطريق الصحيح، نحو التصدّي المؤسّسي والبنّاء للعمل من أجل مستقبل أفضل.

لوك تريجنل

«الأيام» – 19 فبراير 2024

الـــوزيـــر وقمـــة المـدن الذّكيّة في البحرين

تستضيف العاصمة المنامة على مدى يومين ٥ و ٦ مارس ٢٠٢٤ النسخة السابعة من قمة المدن الذكية، تحت شعار «التقدم في مسيرة التطور عبر الذكاء الاصطناعي». وقال وزير البلديات والزراعة: إن القمة تواكب تطلعات مملكة البحرين لتعزيز ريادتها في التحول للمدن الذكية والمستدامة من خلال تبني أفضل التقنيات وما توصلت إليه التجارب والعلوم الحديثة في هذا المجال.

جلال إبراهيم

المدينة الذكية(smart city)هي منطقة حضرية حديثة تقنيًا تستخدم أنواعًا مختلفة من الأساليب الإلكترونية وطرق تنشيط الصوت وأجهزة الاستشعار لجمع بيانات محددة. تُستخدم المعلومات المكتسبة من تلك البيانات لإدارة الأصول والموارد والخدمات بكفاءة؛ في المقابل، يتم استخدام هذه البيانات لتحسين العمليات في جميع أنحاء المدينة. يتضمن ذلك البيانات التي تم جمعها من المواطنين والأجهزة والمباني والأصول التي تتم معالجتها وتحليلها لمراقبة وإدارة أنظمة المرور والنقل ومحطات الطاقة والمرافق وشبكات إمدادات المياه والنفايات وكشف الجرائم وأنظمة المعلومات والمدارس والمكتبات والمستشفيات والخدمات المجتمعية الأخرى.

الاتحاد الدولي للاتصالات يصف المدينة الذكية بأنها مدينة مبتكرة تستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتحسين نوعية الحياة، وكفاءة العمليات والخدمات الحضرية، والقدرة على المنافسة. ووفقاً لمؤشر IESE Cities in Motion، فإن أبرز عشر مدن ذكية في العالم، هي: نيويورك، لندن، باريس، طوكيو، ريكيافيك، سنغافورة، سيول، تورنتو، هونج كونغ، امستردام.

على المستوى العربي تُشير بعض الدراسات إلى وجود عوامل مختلفة تُعيق عملية تحول الكثير من المدن العربية إلى مدن ذكية، أهما: النظم التقليدية، والكثافة السكانية، والبنية التحتية الضعيفة، ونقص رؤوس الأموال، وجوانب ثقافية واجتماعية.

ومن النماذج العربية المتقدمة في هذا المجال، مدينتي لوسيل في قطر ودبي في الإمارات، اللتين طبقتا نظام حوكمة ذكي، وبنية تحتية رقمية متطورة، ساهمت في تحسين الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية والبيئية.

لا شك أن مملكة البحرين تتوفر في بعض مدنها مواصفات المدينة الذكية، لكن بالمقابل تفتقد للعديد من المواصفات والأسس الأخرى التي تتميز بها أشهر المدن الذكية في العالم. كما أن بعض قواعد البنية التحتية الأساسية تُعتبر ضعيفة في بعض مناطق البحرين. إذ لا تزال تفتقد لخدمات صرف مياه المجاري، ومحطات تنقية مياه الصرف الصحي، ورصف الطرقات، وإنارة الطرق، وشبكة اتصالات قوية للإنترنت. كذلك يوجد نقص في عدد المدارس والمستشفيات والحدائق، وغير ذلك.

يكفي أن يقوم أحد المسؤولين بجولة سريعة على مختلف مدن وقرى البحرين هذه الأيام، ليرى بعينيه كيف أن أمطار الشتاء القليلة أغرقت العديد من الطرقات والساحات والأسواق والمنازل بالمياه، وكيف أن البنية التحتية بانت هشاشتها وضعفها في جوانب أساسية لا تتوافق أبدًا مع مفهوم المدينة الذكية في القرن الحادي والعشرين.

ومن الملاحظ في السنوات القليلة الماضية أن بعض الوزراء يتفنون في إطلاق عناوين براقة ومصطلحات عصرية رنانة من أجل التسويق لوزاراتهم أو التغطية على نقص أو سوء الخدمات المقدمة للمواطنين. غير أن ذلك يخالف الواقع تمامًا، مما يجعل هذا الوزير أو ذاك، أو هذه الوزارة أو تلك، عرضة للانتقادات اللاذعة من المواطنين، حيث إن هذه المصطلحات والعناوين لا تنطلي على وعي الجماهير، ولا تلامس احتياجاتها اليومية.

سخر الكاتب الروسي ميخائيل زوشينكو من المثقفين المنفصلين عن معاناة الناس فقال: "إنهم يكتبون عن الأزهار والعصافير، في الوقت الذي يعاني فيه ملايين الناس من البؤس". وإذا كان هذا حال العديد من المثقفين في موقفهم من هموم ومعاناة الناس، فكيف لنا أن نصف موقف الوزراء والمسؤولين وعتاة المال اتجاه العامة من الشعب؟!

بصراحة

اتحاد الشباب الديمقراطي البحراني في ذكراه الخمسين

فاضل الحليبي

الشباب هم الفئة الأكثر حماساً وحيويةً وعطاءً، هم الفئة التي يرتقي بها الوطن في الميادين المتعددة، فالاهتمام بهم مهمة ليست سهلة، فهم الحاضر والمستقبل للوطن، لهذا يسعى الجميع لكسبهم، دولاً وأحزاباً وجماعات وغيرها. يقول لينين: «الحزب الذي لديه الشباب يكسب المستقبل». كما يدعو لينين إلى أن يتمثل وجدان الشباب الماركسي جميع المعارف التي اكتسبها كافة، «فلا ينبغي أن تكتفوا بمجرد استيعابها، وإنما تستوعبوها بفكر ناقد، لكي لا تلبكوا أدمغتكم بعلم جميع الوقائع التي لا يمكن للمرء بدون معرفتها أن يكون اليوم إنساناً مثقفا».

الشباب لديهم الطاقات والإمكانيات الهائلة، لذا يجب الاستفادة منها في خدمة الوطن والشعب، ومن هنا اهتمت جبهة التحرير الوطني البحرانية بالشباب ونظمتهم في صفوفها وشكّلت المنظمات الجماهيرية كرديف للجبهة، ومن خلال تلك المنظمات يكتسب الرفاق الشباب الخبرة والتجربة، عندما يلتحقون بالجبهة، فأسّست في منتصف ستينيات القرن الماضي شبيبة جبهة التحرير الوطني البحرانية، وفي 16 مارس عام 1968 أسّست الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في الداخل، وأصدر نشرة باسم (صوت الطلبة)، كما نشط في صفوف طلبة المدارس بكل مراحلهم، حيث لم تكن توجد وقتها جامعة في البحرين .

منذ السنوات الأولى تعرّض كوادرالاتحاد للاعتقال والسجن، ولكن دوره الأبرز كان في الإضرابات والاحتجاجات الطلابية في المدارس الثانوية والإعدادية في فبراير من عام 1973، عندما طالب الاتحاد ببعض المطالب النقابية والطلابية بينها شرعيّة العمل النقابي الطلابي في البلاد، إعطاء الطلبة دور ثاني في حالة الرسوب في مادة أو مادتين في التوجيهي، بدلاً من إعادة السنة من جديد، تحسين الخدمات الطبية لتلاميذ المدارس. قُمعَت تلك التظاهرات الطلابية وفُصل ستة طلاب، غالبيتهم من قادة الاتحاد من المدرسة بشكل نهائي، فيما أوقف البعض الآخَر لمدة أسبوع و أسبوعين من كوادر وأنصار الاتحاد. بعد تأسيس الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في الخارج، في الخامس والعشرين من فبراير 1972 نشط في صفوفه أعضاء اتحاد الداخل، ممن أصبحوا يدرسون في الجامعات العربية والأجنبية في خارج البحرين.

إبَّان فترة المجلس الوطني المنتخب في السابع من ديسمبر 1973، تمّ دمج الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في الداخل مع شبيبة جبهة التحرير الوطني البحرانية، وأعلنَ عن تأسيس اتحاد الشباب الديمقراطي البحراني، المعروف باختصار «أشدب» في السادس عشر من مارس عام 1974، فنشط في صفوفه الشباب العمال والطلبة وسائر الشباب في بلادنا، وشكّل رافداً فعالاً ومهماً لجبهة التحرير الوطني، ولقد صدرت له نشرة « الشبيبة « في الداخل وهي النشرة المركزية لأشدب، توزع في مواقع العمل المختلفة والمدارس وغيرها من الأماكن، وفي خارج البحرين صدرت له مجلة مركزية أخرى باسم «طريق الشباب» تنشر فيها الدراسات والأخبار وأنشطة منظمات أشدب في الخارج، كما تصدر منظمات أشدب الطلابية في الخارج نشرات دورية. كان أعضاء أشدب وأصدقاؤه نشطين في صفوف فروع الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في الخارج، يشاركون في الفعاليات والأنشطة التي ينظمها الاتحاد، وينسجون العلاقات الرفاقية مع العديد من المنظمات والاتحادات الشبابية الديمقراطية والتقدمية والشيوعية العربية والأجنبية.

في عام 1976أصبح أشدب عضواً في اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي "وفدي"، كما شارك أعضاء أشدب في المؤتمرات والمهرجانات الشبابية والطلابية العالمية التي ينظمها وفدي مع اتحاد الطلاب العالمي، وفي عام 1978 طرح أشدب برنامج (التمثيل النسبي) في أطر الاتحاد الوطني لطلبة البحرين، لكي لا تحرم الأطراف الطلابية من التمثيل النقابي والإداري في مجالس إدارات فروع الاتحاد، وإن كانت لها أقلية في هذا الفرع أو ذاك، ففي الفروع التي توجد أغلبية طلابية لأشدب تم تطبيق التمثيل النسبي بشكل غير مباشر، كان أشدب حريصاً على تعزيز الوحدة الطلابية بالممارسة والتطبيق، ويرى في الخلافات الطلابية إضعافاً لوحدة الاتحاد الوطني لطلبة البحرين، ومن جهة أخرى حرمت الحكومة العشرات من الطلبة الجامعيين أعضاء "أوطب" من مواصلة دراستهم الجامعية بسبب الاعتقال و المنع من السفر وسحب الجواز، كما شكّلت الحكومة الأندية الطلابية منذ عام 1976، في بعض البلدان لمواجهة فروع "أوطب" .

كان أعضاء وأصدقاء أشدب ينظمون الاحتفالات الوطنية السنوية في ذكرى «يوم الطالب البحريني» في 25 فبراير، ذكرى تأسيس الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في الخارج، و ذكرى انتفاضة مارس 1965 المجيدة، وذكرى يوم السابع من ديسمبر، يوم التضامن العالمي مع الشعب البحريني آنذاك، وهو يوم الانتخابات النيابية الأولى في تاريخ البحرين في عام 1973، التي فازت فيها «كتلة الشعب» اليسارية بثمانية مقاعد من أصل اثني عشر مرشحاً للكتلة، المشكّلة من جبهة التحرير الوطني، والاحتفال بذكرى تأسيس «جتوب» في الخامس عشر من فبراير عام 1955، و الاحتفال بذكرى تأسيس « أشدب « في السادس عشر من عام 1974، كان أعضاء وأنصار أشدب في تلك السنوات الماضية بالمئات يحلمون بوطن ديمقراطي وبأن تتحقق فيه الديمقراطية الحقيقية وتسود فيه الحريات العامة والمساواة والعدالة الاجتماعية والسلم، وطن عماده وركائزه تقوم على سواعد أبنائه الشباب بُناة الحاضر والمستقبل، كانت أحلامنا كبيرة .

مثّلت منظمات اتحاد الشباب الديمقراطي البحراني في داخل البحرين وخارجها البحرين الرافد العمالي الشبابي والطلابي لجبهة التحرير الوطني البحرانية ورفدت الجبهة بالمناضلين والكوادر الحزبية النشطة والمؤهلة، فحتى يصبح المناضل مرشحاً للتنظيم في جبهة التحرير لا بد أن يمرَّ بفترة ترشيح واختبار طويلة يتمّ فيها تأهيله وتثقيفه وتدريبه على ممارسة النقد والنقد الذاتي والتثقيف الذاتي والعمل في وسط الجماهير من خلال (أشدب).. ولم يكن بالضرورة أن ينتهي كل منتسب لـ (أشدب) إلى أن يكون عضواً في جبهة التحرير؛ فقد لا تكون قدرات الرفيق وإمكانياته تسمح له بالالتحاق بالعمل الحزبي، وهنا يجري في الغالب الاحتفاظ به في إطار العمل الشبابي، غير أن الكثير من قيادات أشدب صارت فيما بعد من القيادات البارزة في الجبهة، ولاحقاً في المنبر التقدمي، رغم الخسائر التي تسببت بها الضربة الموجعة التي تعرض لها تنظيم الجبهة في صيف عام 1986 من قبل جهاز الأمن بقيادة المقبور آيان هندرسون، والتي شملت قادة وكوادر أشدب واستشهد فيها رفيقنا الدكتور هاشم إسماعيل العلوي، وبالرغم من الظروف الصعبة واصل "أشدب" مسيرته النضالية الحافلة بالأحداث والمواقف الوطنية والشبابية، كمنظمة شبابية تقدمية يضمّ كلا الجنسين في عضويته الشباب الطلبة والعمال والموظفين والفنانين والمبدعين وسائر فئات الشباب.

أولى (أشدب) في برنامجه أهمية كبرى لقضية الدفاع عن قضايا الشباب في البحرين في الدراسة والعمل والسكن، وتحقيق مطالبهم والدفاع عن مصالحهم، وتربية الشباب تربية وطنية وأممية، ووفَّرَ البعثات الدراسيةَ الجامعيةَ لأبناء العمال وسائر الكادحين في البلاد، الذين لا يستطيعون مواصلة تَعليمهم الجامعي على نفقة أهاليهم بسبب الفقر والعوز ولكي لا يحرموا من الدراسة الجامعية يتم ابتعاث المئات منهم للدراسة في جامعات الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية سابقاً من قبل جتوب وأشدب، وتخرجت أعداد كبيرة منهم من جامعات تلك الدول في الطب والهندسة والحقوق وغيرها من التخصصات الأكاديمية .

فى الذكرى الخمسين لتأسيس أشدب "اليوبيل الذهبي"، نستذكر رفاقنا الأوائل الذين أسَّسوا أشدب والذين ناضلوا إبَّان حقبة قانون أمن الدولة، ويبقى خالداً في القلوب من رحل منهم عنا، ونعتز بأننا تلقينا دروسنا الأولى في العمل الحزبي والشبابي والسياسي والفكري في مدرسة أشدب، وخلال تلك السنوات تطورت مهاراتنا وقدراتنا الفكرية والسياسية من أجل الدفاع عن مطالب شعبنا في الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والحريات العامة واحترام حقوق الإنسان.

حملت اسم المناضل أحمد الشملان

الدورة العاشرة للمنتدى الفكري السنوي تناقش قضايا الإعلام في الخليج وتحدّياته

في السادس عشر من فبراير الماضي انعقدت الدورة العاشرة للمنتدى الفكري السنوي للمنبر التقدمي بمشاركة وازنة من باحثين وإعلاميين من دول خليجية، وبحضور نوعي تميّزت به دورات المنتدى منذ تأسيسه، حيث تناولت الأوراق المقدمة في المنتدى وما رافقها من مناقشات قضايا الإعلام في دول المنطقة وتحدّياته، وعقد المنتدى دورته على جلستين أدارهما على التوالي يوسف العطوان من الكويت ومحمد فاضل العبيدلي من البحرين، وحضرت المنتدى شخصيات قيادية من الحركة التقدمية الكويتية الشقيقة في مقدمتهم الرفيق أحمد الديين، وباحثون وأدباء من سلطنة عمان ودول شقيقة أخرى.

عادل المتروك:
دورة أحمد الشملان

في كلمته الافتتاحية للمنتدى قال الأمين العام للتقدمي الرفيق عادل المتروك: «يعزّ علينا أن يغيب عن منتدانا، ولأول مرة، رفيقنا الغالي وفقيد الوطن وحركته الوطنية، الرئيس الفخري لمنبرنا التقدمي المناضل أحمد الشملان، الذي غادرنا تاركاً فراغاً كبيراً، بما كانت له من مكانة كفاحية ومهابة رمزية بوصفه واحداً من أبرز قادة حركتنا الوطنية المعاصرة، ومن أكثرهم صلابة وإيثاراً وتضحية، على مدار عقود حياته، بين السجن لسنوات طويلة، والنفي والمنع من السفر والتضييق عليه في عمله.

وأضاف المتروك: «وقد ارتأينا أن نطلق على هذه الدورة اسم فقيدنا الكبير، تكريما لذكراه وتذكيراً باقتران منتدانا هذا بحضوره، فضلاً عن عطائه الصحفي المميز، ولنؤكد أنه باق معنا، رمزاً ومغزى لمسيرة الكفاح والتمسك بحقوق الشعب، التي نعاهد فقيدنا بمواصلتها. فلروحه السلام والخلود لذكراه الباقية عبر الزمن».

عادل المتروك

كما وجه الأمين العام تحية اجلال للأرواح الطاهرة لشهداء الإعلام والصحافة في غزّة وكل فلسطين الذين رحلوا معمدين بتاج الشهادة، وهي تعري زيف حكوماتنا قبل أن تعري الاحتلال، وتنقل لنا صوراً ومشاهد نبدو أمامها عاجزين، وشكرا للباقين منهم من مراسلين ومصورين ومنتجين».

محمد اليحيائي: حالة خليجية عامة

الورقة الأولى في المنتدى كانت للباحث والأديب والإعلامي العماني د. محمد اليحيائي، وتناولت «قيود وتحديّات حرية التعبير في عمان»، ملاحظاً أن القوانين والتشريعات المتعلقة بحرية التعبير والنشر في عُمان لا تختلف عنها في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الأخرى، من حيث كونها قوانين وتشريعات توصف بغير الصديقة لحرية التعبير، وهدفها الأساس وضع القيود والحدود، أكثر من وضع الأطر وحفظ حقوق الأفراد والمؤسسات، أو حماية «المجتمع وعاداته وقيمه» من أية نصوص «خادشة» بحسب كثير من الادعاءات، لكن الذي يختلف هو الخبرات والحساسيات المعرفية لدى المشتغلين بالكتابة والنشر في التعاطي مع تلك القوانين والتشريعات، ويختلف بالتالي، ما يبدو وكأنها مساحات تتسع وتضيق على هذه الحرية بين بلد وآخر من هذه البلدان».

وأشار الباحث إلى أن البيئة التشريعية المتعلقة بحرية التعبير والنشر في عُمان غير مواكبة للتغييرات التي شهدها

محمد اليحيائي

حصة لوتاه

غسان الشهابي

المجتمع والانفتاح على ثقافات ولغات العالم المختلفة، وانعكاس ذلك على الأجيال الجديدة من العمانيين ورؤيتها للحرية ومفاهيم حقوق الإنسان باعتبارها حقوقا أصيلة وأساسية لا بد من التمتع بها وممارستها، وهو ما عبرت عنهالاحتجاجات الشعبية التي شهدتها مناطق مختلفة من البلاد مطلع العام 2011 وضمن موجة احتجاجات الربيع العربي، فقد كانت المطالب المتعلقة بالإصلاح السياسي وحرية الصحافة والتعبير جنباً إلى جنب مع مطالب الإصلاح الاقتصادي وتحسين الأوضاع المعيشية.

ومع عدم إلغاء أو إجراء تغييرات في قانون المطبوعات والنشر تخفف من القيود المفروضة على حرية التعبير، ومع بقاء الرقابة المسبقة على الكتب، وانتشار ثقافة الرقابة الذاتية بين الصحافيين العاملين في مؤسسات الصحافة والإعلام المحلية، ستبقى الدعوات والمطالب بأن تكون مؤسسة القضاء هي الفيصل في قضايا حرية التعبير قائمة، بالقدر ذاته الذي ستواصل فيه مجموعة من الكتاب العمانيين رفع سقف حرية التعبير عبر النشر في الخارج والانتشار في الداخل.

حصة لوتاه: معضلة الصورة في فضاءنا الإعلامي:

الورقة الثانية كانت للأكاديمية والباحثة الإماراتية د. حصة لوتاه ، بعنوان: «تراجع الصحافة المقروءة وتحديّات زمن الصورة»، واستعرضت فيها جوانب من تجربتها الشخصية كأستاذة في قسم الإتصال في جامعة الإمارات، «في زمن لم تكن وسائل الاتصال الحديثة قد هيمنت بشكل كبير على حياة البشر فيه، حيث وجدت أن أقلّ فروع ذلك القسم التحاقاً من قبل الطلبة كان فرع الصحافة المكتوبة (جدير بالذكر هنا، أن الفرع الأكثر استقطاباً للطلبة، والطالبات كذلك، كان فرع العلاقات العامة)، مما دفعني للملاحظة والتساؤل حول أسباب ذلك العزوف عن دراسة الصحافة.

وقالت لوتاه: «لا نجافي الحقيقة، بشكل كامل، لو قلنا بأن غالبية العاملين في مجال الإعلام المرئي في بلداننا العربية، يعانون من افتقار إلى ثقافة الصورة، والكيفية التي يستقبلها بها الدماغ البشري، وكيف تتدخل في تشكيل الوعي فيه.

محمد العنزي

فنحن، وعلى الرغم من تلك الهيمنة التي تحدث حولها بودريار للصورة، ودورها في تشكيل معرفتنا ووعينا بالعالم، إلا أننا نفتقر لثقافة معرفية وعميقة لها. وهذه المعضلة أظنها تحيلنا إلى جذر مهم من جذور ثقافتنا العربية، وهو الجذر المرتكز على مدلولات تلك الثقافة».

ودعت إلى التزوّد «بالمعرفة التي تساعدنا على قراءة مدلولات الصور ورموزها، حتى نكون قادرين على قراءتها وانتاجها بشكل أفضل، حتى نستطيع، ليس فقط القراءة المتعمقة للصور، إنما أيضاً انتاجها بشكل أفضل».

غسان الشهابي: صحافتنا المحلية اليوم

قدّم الورقة الثالثة الإعلامي والباحث البحريني غسان الشهابي بعنوان: «أين هي مرآتنا.. الصحافة المحلية اليوم»، وأشار فيها إلى «أن الواقع الصحافي البحريني اليوم، في شقيه الرسمي وشبه الرسمي من جهة، والأهلي من جهة ثانية، فيه عديد الإشكاليات التي تجعله غير قادر على حمل هذه الأمانة، إذ أصبحت الصحف اليومية المحلية تطلّ علينا يومياً بوجه رسمي في معظمه، وتوارت أخبار الناس، وجهود

محمود ربيع

الصحافيين، والنقد الصحافي المسؤول عن الأوضاع القائمة».

وقال الشهابي: «على الرغم من أن الحكومة توقفت عن الدعم المباشر للصحف اليومية المحلية منذ أمد بعيد، إلا أن هناك ما يشبه العرف بأن تنشر هذه الصحف الأخبار الرسمية على صفحاتها الأولى، على الرغم من الكمّ الكبير من هذه الأخبار التي تسمى بـ «أخبار السوفا»، التي يظهر فيها المسؤولون جالسون على السوفا، أسفل منهم كلام عن التنسيق المشترك، والقضايا ذات العلاقة، ولا معلومة مهمة ترد في مثل هذه الأخبار. وعلى الصحف الحرص على نشر هذه الأخبار جميعاً، وبجميع الصور المرفقة معها، مما أدى إلى طغيان أخبار العلاقات العامة الرسمية على الفعل الصحافي الذاهب إلى وضع الإصبع على الجروح، والسلبيات، والخروقات، وبطبيعة الحال الإشارة أيضاً إلى الإيجابيات والإنجازات، ولكن في السنوات القليلة الأخيرة هناك ملاحظة أعادت مقولة تشابه الصحف إلى الواجهة، لقلة، بل ندرة الأخبار الخاصة التي تميز صحيفة عن أخرى، بما فيها «الخبطات الصحافية» و«السبق الصحافي» والتنافس فيما بين الصحف من أجل تثبيت حق الجمهور في المعرفة».

ولفت الشهابي إلى أنه نظراً لأن الحكومة «لا تساعد الصحافة بأي نوع من المساعدات على اعتبار أن المؤسسات الصحافية

يوسف العطوان

محمد فاضل العبيدلي

أحمد الديين

لا تعدو كونها مؤسسات تجارية في نهاية المطاف، يسري عليها ما يسري على المؤسسات الأخرى من الربح والخسارة، والإفلاس والتصفية، فقد حدث أن أغلقت صحيفتان يوميتان لم تتما عامهما العاشر، وصحف أسبوعية ومجلات، وذلك للعامل المالي المنهار».

محمد العنزي: تحديثات تشريعية إيجابية رغم القيود

الباحث الرابع في المنتدى كان الإعلامي الكويتي محمد العنزي، وحملت ورقته عنوان: «ديمقراطية الاعلام»، وأشار فيها إلى أنه مع الإعلام الحديث وبرامج التواصل الاجتماعي أصبح الفرد أكثر حرية في التعبير عن رأيه وأكثر دراية لما يحدث حوله في العالم وأوسع اطلاعاً بحصوله على أي معلومة بعيداً عن رقابة الحكومات التي أصبحت رقابتها شكلية وضعفت قبضتها في ما يصل إلى المجتمع من معرفة وأحداث».

واستدرك العنزي بالقول: "مع كل هذه الإيجابيات فإن التحديات التي تواجه الإعلام الحديث كثيرة وتتطلب عملاً لمعالجتها خاصة لما تحمله من مخاطر شديدة على المجتمعات من تشويه للرأي العام عن طريق نشر المعلومات المغلوطة وغيرها من الأساليب التي تهدف إلى خلق التوترات في المجتمعات».

وبعد أن استعرض الباحث التطوّر التاريخي للإعلام، عالمياً، والنظريات المختلفة التي أطرت له ولمناهج عمله، توقف عند الحال الكويتية، حيث لاحظ أنه "وعلى الرغم من وجود إرث إعلامي كبير وخبرات صحفية متميزة اكتسبتها من هامش الحريات الموجودة إلا أن الكويت لم تتجه كما الدول الخليجية الأخرى إلى إنشاء محطات إخبارية فضائية التي انطلقت منذ التسعينات وما بعدها مستمرة بالتركيز على الشأن المحلي التي يعود بعض منها لأسباب داخلية وأخرى لأسباب خارجية».

أشار العنزي إلى أن "الحالة الإعلامية (في الكويت) شهدت منذ عام 2006 تحديثات للقوانين المنظمة لها مثل قانون المطبوعات والنشر الذي تمّ تعديله وهو الأمر الذي سمح

سعيد الهاشمي

بإصدار صحف أخرى تجاوز عددها أكثر بحدود 15 صحيفة أغلق بعض منها لأسباب مالية (...) ولكن تعديل هذا القانون مثّل حالة إيجابية لحرية إصدار الصحف وعدم وجود رقابة مسبقة، رغم التشدد في الرقابة اللاحقة على المحتوى الإعلامي وزيادة العقوبات المخالفة لقانون المطبوعات والنشر خاصة بعض المواد التي تكون فضفاضة ومبهمة مثل الإضرار بالعلاقات الكويتية مع أشقاءها من الدول العربي وأصدقائها والإضرار بالعملة الوطنية والمسّ بأمور الدين تصل العقوبات في بعض الأحيان إلى السجن لصاحب الصحيفة والصحفي.»

وأشارت الورقة أيضاً إلى سماح الدولة «بالبث الفضائي التلفزيوني الخاص وانطلقت محطات تلفزيونية أبرزها محطتي الراي والوطن التي تناولتا الشأن المحلي وتقديم برامج حوارية تتعلق بالأوضاع السياسية مع هامش من الحريات التي تسمح بانتقاد واسع لأداء الحكومة».

محمود ربيع: قراءة في تعديلات أحكام قانون الصحافة البحريني

الورقة الاخيرة كانت للمحامي والباحث البحريني محمود ربيع بعنوان «قراءة قانونية في مشروع قانون بتعديل احكام قانون الصحافة البحريني»، عرض فيها لإيجابيات المشروع، وكذلك إلى السلبيات الكثيرة التي حواها، ومن أهم الإيجابيات وضع اطار قانوني تنظيمي للإعلام الإلكتروني بإعتباره أحد مكوّنات المنظومة الإعلامية في مملكة البحرين.

فيما شملت السلبيات التي أفردت لها الورقة حيزاً كبيراً، حرمان الشخص الذي لا يتمتع بالحقوق المدنية والسياسية من تملك موقع الكتروني أو المساهمة في ملكيته وهو شرط ورد في المادة 67 مكرر 3، أو أن يكون مديراً مسؤولاً عن الموقع الإلكتروني كما ورد في المادة 67 مكرر 4، فهو قيد غير مبرر بمعاقبة الشخص المحروم من حقه السياسي في ابداء الرأي والتعبير، وقد ورد في مرئيات المؤسسة الوطنية لحقوق الانسان ما يفيد التحفظ على ذلك، وحذرت من أن تبي المادة المذكوره مدعاة لتوجيه التساؤلات لمملكة البحرين أثناء مناقشة التقرير الدوري بشأن تنفيذ أحكام العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية.

كما أشار الباحث أيضاً إلى اعطاء مشروع القانون الحق للوزير في إلغاء الترخيص (م 67 مكرر 9) وهو أمر منتقد ويتعارض من التوجهات الحديثة بالتخفف من القرارات الإدارية وإيكال المهمة للقضاء في ذلك، ويفترض أن الأمر يكون للقضاء بدلاً من الوزير، بحيث يكون القضاء هو ساحة الفصل في المنازعات بين الوزارة المختصة والصحف وأصحاب المواقع الإلكترونية، ويكون للسلطة الإدارية المختصة اللجوء إلى القضاء المستعجل أو القضاء الموضوعي بحسب الأحوال.

من السلبيات التي توقفت عندها الورقة أيضاً ورود عبارة (مع عدم الإخلال بأي عقوبة أشد ينص عليها قانون العقوبات أو أي قانون آخر) كما وردت مثلاً في المادة (16) والمادة (69) أو المادة (85) تعني أن عقوبة الحبس لازالت باقية من خلال قوانين أخرى، ويُستحسن حذفها كما حُذفت من المادة (68) والمادة (71) لتطبيق مقولة الغاء عقوبة حبس الصحفي.

إرادة الإستقلال

حسين آل ربيع

عملَت الصحافة الأمريكية بمختلف وسائلها دائماً على احتكار الصوت والصورة، فهي الناطق الحصري باسم شعوب العالم وعلى هذه الحالة يتم تصوير الشعوب الأخرى وثقافاتها وأعرافها وعاداتها من زاوية حادة مختارة بعنايَة تهدف إلى خدمة المصالح السياسية والاقتصادية للولايات المتحدة وكيانها اللقيط المتبوع بها؛ وبواسطة السيطرة على الصحافة ووسائل الإعلام يتم تشويه أو تقزيم الحركات التي تناضل من أجل الإستقلال والتحرر والديموقراطية في العالم الثالث أو مايعرف بدول الأطراف. تعَرّف هذه العملية بـ«الصناعة الثقافية» أو مايسميها أدوارد سعيد «الإمبريالية الإنثروبولوجية» أي احتكار ثقافات الشعوب الأخرى وتعريضها للاختزال والتسطيح ومن ثم التحدث بالنيابة عن تلك الشعوب أو باسمها، وهو الأمر الذي عمد سعيد الى نقده في دراسته الشهيرة «الإستشراق».

جرى اختزال الإنتفاضة الفلسطينية منذ انطلاقتها الإولى على شاشات التلفزيون والصحافة الأمريكية وتصويرها على أنها مجرد أعمال تخريبية منفردة من رمي للحجارة والزجاجات الحارقة...الخ، وإن أخذوها على محل الجِد فهي إما فوضى أو أعمال تخريبية أو إرهاب. بينما هي في جوهرها أعمق من ذلك التسطيح بكثير، حيث يصفها إدوارد سعيد بأنها:«إبداع لكينونة سياسية رمزها الحجارة. إنها إبداع لقوة بديلة، لايمكن تشغيلها أو إطفائها» (ص 159)، إن الإنتفاضة تمثل بالتحديد قرار شعبي فلسطيني متصاعد رافض للعيش تحت نير الإحتلال وسوط انتهاكاته بدافع الطاقة الكامنة في إرادة الإستقلال عند الشعوب. ويضيف سعيد في حديثة عن فكرة الإنتفاضة:«إنها حركة ثقافية، تقول إننا لن نتعاون، ولا نستطيع الإستمرار بالعيش تحت الإحتلال، ولذلك علينا إعالة أنفسنا بأنفسنا» (ص 159).

وبالفعل، ابتكر الفلسطينيون طرق وأفكار بديلة في سبيل الاعتماد على النفس بدافع من إرادة التحرر من جهة، وتضييق الاحتلال الخانق على كل شيء من جهة أخرى، كإغلاق المدارس الفلسطينية وصعوبة الحصول على الخدمات العامة مثل المستشفيات والمرافق الحكومية والإدارية والتي تتعلق بتنظيم الحياة الإجتماعية، والقضاء على الإقتصاد الفلسطيني وفرض شروط تعجيزية على الفلاحين في قطاع الزراعة ومصارة الأراضي الزراعية وبناء المستوطنات مكانها دون وجه حق. ابتكر الفلسطينيون بدائل عديدة ومتنوعة وإن كانت بسيطة ومحدودة، مثل: مراكز صحية بديلة، طرق تعليم بديلة، وسائل بناء وزراعة وفنون وطرق تواصل ...الخ، وقد تبلور إنتاج هذه البدائل في حركات المقاومة التي بلغت ذروتها الآن وبعد عقود من الصبر والمحاولة، عملت المقاومة بجهد على التجربة والبحث وصولاً الى ابتكار السلاح البديل المعاد تصنيعه محلياً على قدر الإمكانات المتاحة تحت أصعب الظروف، وهو السلاح الذي أثبت جدارته وقوّته في حرب غزّة القائمة، إضافة الى أحد أهم إنجازات الثورة الفلسطينية كما يقول الخبراء هو إتقانها لشبكة اتصالات خاصة ومحلية لا سابق لها ولا تخضع لمراقبة الاحتلال، وكله عن طريق الإعتماد على النفس وعدم الإستسلام وابتكار أفكار بديلة دائماً.

ولا تكتمل سلسة الإنجازات دون الحديث عن شبكة الأنفاق الأسطورية التي لا يعرف الصديق ولا العدو من أين تبدأ وأين تنتهي. كل هذه الأوضاع كان من المفترض – وفقاً للحصار الخانق جداً – أن يسيطر الإحتلال عليها، إلا أن حصاره مخترق كُلياً. إنها إرادة الإستقلال والتحرر إذا اجتمعت بشعب عزيز لا يعرف الإنكسار. يقول سعيد:«ما نقوله، نحن الفلسطينيون، هو أننا بتنا نمارِس تحريرنا وحق مصيرنا (...) المسألة الآن كما أراها، ليست ما إذا كانت الإنتفاضة ستتوقف، فهي لاتقبل الإلغاء. إنها عملية دفعتنا بشكل كبير في اتجاه إدراك الذات، والإستقلال، والتحرير الوطني.» (ص160)

على أن المنظومة الإعلامية الغربية الضخمة التي تحتكر الصوت والصورة وتروج للدعاية السياسية (البروباغاندا)، كلما زاد تطوّرها وحجمها وتشعبت، زادت هشاشتها وبالتالي من الممكن – بطريقة أو بأخرى – اختراقها واستغلال بعض مواضع الضعف فيها. يعتقد تشومسكي بأن تفكيك هذه الآلة الإمبريالية الضخمه واختراقها أمر مستحيل وبأنها تسيطر على المعلومات والتقنيات المتعلقة بالصحافة وبالشركات الإعلامية الكبرى التي من الفروض عليها أن تدعم إيديولوجيا الهيمنة. أما إدوارد سعيد فيرى أن هذه المنظومة مادامت موجودة عملياً، فمن الممكن تفكيكها أو توجيهها لاستخدامات وأهداف مختلفة، يقول:«بغض النظر عن مدى هيمنة جهاز ما، ليس بوسعه الهيمنة على كل شيء. يبدو لي ذلك التعريف الأساسي للعملية الإجتمتعية» (ص161). لابد من وجود طرق وبدائل مبتكرة للتدخل تحدث من داخل المجتمع تعمل على إعادة توجيه تلك المنظومة أو جزء منها، وليس عليك أن تبدأ من الصفر أي أن تهدم المنظومة بأكملها بمعول نيشته – من هذا المنطلق يرى التفكيكيون استحالة الأمر– بل يتطلب الأمر –كما يقول سعيد– استغلال التطور المفرط لهذا الجهاز المهيمن وأن التدخل لكي يأتي ثماره لابد أن يكون محدد بشكل استراتيجي وفي لحظات معينة.

هذا الحوار الذي نقتبس منه أجراه إدوارد سعيد في العام 1993م ونشر في أوكسفورد، يبدو أنه استقرأ واقعنا الآن! مع ظهور وسائل التواصل بدا أنها تستهدف فئة الشباب والمراهقين عبر مشاركة صورهم وحياتهم اليومية ومغامراتهم وسفراتهم، لكن مع توسع الدائرة وازدياد الفئات العمرية للمتابعين دخلت ضمن دائرة وسائل التواصل فئات أخرى لها أدوار اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية وتعليمية الخ. هذا الأمر الذي تفاقم وتوسع زاد من هشاشة منظومة الهيمنة، فصرنا نسمع ونشاهد صوراً وخطابات ومطالبات من شتى مناطق العالم مختلفةً عن الخطاب السائد. صرنا نسمع صوت الآخر ونشاهد صورته كما يريد هوَ وبصوته هوَ لا كما تريد الآلة الإمبريالية. تفاقم الأمر كثيراً وبشكل تدريجي وبات خارجاً عن السيطرة إلا قليلاً. ومع تصاعد الحرب على غزّة صار بالإمكان وبطرق بسيطة أو معقدة تجاوز القيود والخوارزميات التي تحتكر توجه الناشر وتمنع المخالف.

إن القيد الذي فرضه التلفزيون والراديو وحتى الصحافة المطبوعة سابقاً، انكسر اليوم مع تطوّر التكنولوجيا واكتشاف وسائل التواصل السريعة. نعم، العالم أصبح قرية صغيرة وبات من الصعب إخفاء الجرائم والمؤامرات وإلغاء السرديات وتضليل الحقائق كما في السابق. عمل الإعلام الغربي بكل ما أوتي من إمكانات وخبث على محو القضية الفلسطينية وتشويهها وشيطنتها والنيل منها، وإحدى أهم الوسائل المستخدمة كان الإعلام المضاد للحقيقة والصحافة المهيمنة؛ إلا أن الطرق الإستراتيجية المحددة واستغلال التناقضات العميقة في المجتمع جاءت بثمارها ولو بعد حين. عمل إدوارد سعيد بجهد لتثقيف العالم واستغلال ثغرات الجهاز المهيمن للتعريف بالقضية الفلسطينية ومشروعيتها وكذلك عمل على إكمال الصورة المجتزأة والمنقوصة وغير الواقعية عن فلسطين وشعبها، واليوم أبنائه وأحفاده على طريقته يصلون بالسردية الفلسطينية التاريخية الحقيقية إلى أقصى العالم من شرقه الى غربه. يقول سعيد: «في حالة الفلسطينيين، حيث الصورة المطروحة غير كاملة، بإمكانك محاولة إكمالها(....). قد تنتج عملية كهذه شخصاً مثلي، وطنياً فلسطينياً ملتزماً من جهة، لكنه بسبب تعليمه وانتماءاته الفكرية شخص من النخبة. اتحاد هذين الأمرين يجعل ظهوري ممكناً لأتدخل بالطرق التي حاولت التدخل بها. لا أقول إن ذلك هو كل شيء، أو أنه أحدث تغيراً مهماً جداً، لكنك تشعر على الأقل، بأنك قادر على مقاومة الهيمنة وتغيير الواقع، وأن تمنح نفسك وغيرك الأمل.»(ص162)، إن إرادة الإستقلال قوةٌ دافِعة ستظل تتصاعد باطّراد مادام الإحتلال موجوداً، وأنه فعلياً بدأ يتفكك ويتضعضع.

جميع الإقتباسات في المقال من كتاب: السُلطة والسياسة والثقافة/حوارات مع إدوارد سعيد، تقديم:غاوري فزواناثان، ترجمة نائلة قلقيلي/ دار الأداب الطبعة الثانية 2019

فلسطيـــن .. القضيـــة التـــى أسقطـــت القنـــاع عـــن القنـــاع

لم نجد، لم نسمع، لم نقرأ فى تاريخ الحروب ان ارتدى جنود ملابس النساء ودخلوا المستشفيات يقتلون ويعتقلون من فيها من مرضى وجرحى من الشباب، وقبل ذلك وبعده قيام جنود بقطع الكهرباء والماء والأدوية عن الناس، وقبل ذلك وبعده يرتكبون مجازر وإبادات جماعية وإعدامات ميدانية بحق النساء والأطفال والشيوخ، ويدمرون المدارس والمستشفيات ويمنعون ادخال المساعدات الإنسانية، ويجعلون العديد من المناطق كما لو أنها عادت إلى ما وصُف بالعصر الحجري فى صورة ستبقى من أسود الصفحات التى يسطرها المحتلون.

خليل يوسف

لم نجد، ولم نسمع، ولم نقرأ ان أنتهكت كل القوانين الدولية والإنسانية كما أنتهكت على النحو الذى شهدناه على مدى شهور. يكفى القول إنها وصلت إلى أقصى درجات الانتهاك، كما لم يسبق أن شهدت البشرية فى كل الحروب بشاعة وفظاعة حالات من اذلال البشر، بل وظهر من اعتبر سكان غزة مجرد "حيوانات فى صورة بشر"، كما ظهر من يسرق أعضاء جثامين شهداء: قرنية عين او نخاع شوكي وأعضاء اخرى وهو ما كشف عنه أحد الأطباء فى أحد المستشفيات حين تحدث عن التشوهات التى لحقت بجثامين القتلى والشهداء، حيث فعلوا ذلك بكثير من الإتقان .

كما لم نشهد حرباً شعواء على وكالة دولية تقدّم خدمات إنسانية وتتولى دوراً رئيسياً وتاريخياً فى مساعدة الشعب الفلسطيني فى الأراضي المحتلة ومخيمات اللاجئين منذ النكبة، وتعتبر شريان الحياة لأكثر من 2 مليون إنسان، وهي التى وصفت بأنها أكثر بكثير من مجرد منظمة اغاثة، بل إنها إلى جانب ذلك تمثل التزاماً من جانب المجتمع الدولي تجاه اللاجئين الفلسطينيين وحافزاً لوجود منظمات إنسانية أخرى فى غزة قطع التمويل عنها من امريكا ودول غربية وتوابعهما، دول صدّعت رؤوسنا بتمسكها بكل معاني ومبادئ الإنسانية وحقوق الإنسان لتصبح هذه الوكالة شاهدة وشهيدة فى آن واحد .. شاهدة على وجود احتلال واضطهاد شعب، وشاهدة على حقائق مذهلة ومفزعة على اكثر من صعيد عبّر عن احداها النائب الجمهوري الأمريكى بريان ماست رداً على ذلك الموقف من الأونروا حين قال «إننا نريد رؤيتهم يموتون جوعاً، فلا وجود لفلسطينيين أبرياء فى العالم"، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الوكالة شهيدة لازدواجية المعايير والخلل الفادح فى معاني ومعايير العدل والإنسانية والحقوق وكل الشعارات التى يسوقّها المسمى مجتمعاً دولياً، وليس من قبيل المبالغة حين اعتبر ذلك الموقف من الأونروا بأنه بمثابة السم القاتل لحق العودة.

ولم نجد، ولم نشهد كل هذا الحجم الذى شهدناه من حملات تضليل وتشويه وخداع إعلامي من قبل من وجدوا فى الحرب على غزة فرصة لهذه الحملات من اجل الاسترزاق والشهرة والثراء، ومن أبرز هؤلاء تلك الجماعات التى ظهرت لنا في "الفضاء الإليكتروني العام" وبعض القنوات التليفزيونية بصفات "محللين استراتيجيين"، وتارة بصفة "محللين سياسيين" أو "خبراء عسكريين"، هؤلاء وحتى بافتراض حسن النوايا عند بعضهم لم يكونوا سوى مضللين، يتبادلون الأدوار، ويكملون بعضهم بعضاً، يلعبون بالكلمات، يكذبون، يروجون لأكاذيبهم فى مؤامرات خفية تستهدف التضليل وتشويه الحقائق والهدف التطبيع والمسالمة مع الكيان الصهيوني.

لم نجد، ولم نشهد، ولم نسمع ان جيوشاً نظامية حتى فى ظل أشد الحروب بشاعة ودموية وهمجية ان استهدفت بشكل مباشر الصحفيين الذين اصبحوا بين شاهد وشهيد ، ولا الأطفال وهم يقتلون مع سبق الإصرار تتبعثر أشلاءهم فى حارات وشوارع غزة ، مما يضع جنود الاحتلال فى خانة مجرمى حرب دموية غير مسبوقة ، كما لم نجد ولم نشهد ولم نسمع هذا الكم من التوحش الذى تجلى فى محاولة التخلص من خدمات وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين " الأونروا " يرقى إلى مستوى الشراكة فى الإبادة الجماعية وتجاهل لأوامر محكمة العدل الدولية التى قضت بضرورة اتخاذ التدابير الفورية والفعالة لإدخال وتوفير المساعدات إلى قطاع غزة.

ولم نجد، ولم نسمع، ولم نقرأ عن اجتماعات ولقاءات ومؤتمرات على كل المستويات وفى اكثر من بلد تنعقد تحت عناوين "هدنة إنسانية" أو "المساعدة على وقف الحرب" ، أو "نصرة الشعب الفلسطيني" ، دون الخروج بنتائج لها اثر، وكم وجدنا تصريحات ومبادرات لبعض من يبحثون عن دور وهم يطلقون جعجعات وشعارات توحي بأن هناك من يعمل على دعم ومساندة القضية الفلسطينية، وذهب البعض الى القول بأنه لا يمكن ان يقفوا موقف المتفرجين، وهم في الحقيقة يُكذبون على أنفسهم، او انهم أعجز من ان يحققوا شيئاً، يضاف إليهم حثالة من المطبعين والمتصهينين سراً وعلانية الذين ارتضوا التبعية والإذلال وانخرطوا بحصار أهل غزة وقتلهم جوعاً ومرضاً وحصاراً، وليصبح موقف تلك

لم نجد موقفاً حازماً
او قـراراً ملزماً مــن محكمــة
العدل الدولية فى لاهاي
يضع حداً لسلسلة
عمليات الإبادة الهمجية

لابد من توجيه الشكر
لجنوب أفريقيا فهبتها جرجرت
إسرائيل رغماً عن أنفها إلى
محكمة دولية

الدول احد أوجه مساهمتها فى الحرب.

وأخيراً وليس آخراً لم نجد موقفاً حازماً او قراراً ملزماً من محكمة العدل الدولية في لاهاي يضع حداً لسلسلة عمليات الإبادة الهمجية، وبدلاً من ذلك كانت هناك دعوة، مجرد دعوة الى إطلاق النار وكل العمليات التى يمكن أن تندرج تحت عنوان جرائم الإبادة من تهجير وحصار وقتل جماعي وتدمير مساكن وبنى تحتية. صحيح أن الأراء والمواقف والتحليلات وردود الفعل قد تباينت، فهناك من وصف القرار بأنه تاريخي، وهناك من وصفه بإنه يمثل درجة من الإنصاف وليس إنتصاراً حاسماً، وهناك من اعتبر القرار بأنه مهم ومفصلي أفقد الكيان الصهيونى الحصانة وجعله لأول مرة فى تاريخه منذ نكبة 1948 فى موقف المساءلة بل الإدانة ووضع حداً لتهربه الدائم من المساءلة حتى ان كانت مدعومة من عدد من دول الفيتو وغيرها.

دعونا نتمعن فى كيفية تفاوت قرارات المحكمة الدولية بين الحرب الروسية الأوكرانية والحرب الاسرائيلة على غزة، فبالنسبة للحرب الأولى قالت المحكمة إنها "تشعر بقلق عميق ازاء استخدام القوة الروسية الذى يثير مشاكل خطيرة جداً بالقانون الدولي" وأعلنت قرارها "يجب أن تعلق روسيا الاتحادية فوراً العمليات العسكرية التى بدأتها فى 24 فبراير 2022 على أراضي أوكرانيا" ، اما بالنسبة للحرب الثانية فان المحكمة قالت "يجب على إسرائيل ان تتخذ التدابير فى حدود سلطتها لمنع ومعاقبة التحريض العلني على ارتكاب الإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين، وإن على إسرائيل أن ترفع تقريراً إلى المحكمة بخصوص التدابير المؤقتة المفروضة خلال شهر».

إلا انه بصرف النظر عن توقعاتنا أو عن أي وصف أو رأي أو تحليل يتصل بالقرار إلا أنه أُخذ علية عدم تضمنيه قراراً مباشراً بالوقف الفورى للأعمال الحربية، وبالرغم من ذلك وجدنا نتنياهو وجماعته ينتقدون المحكمة ووصفوها بأنها "لا سامية" وذهبوا الى وصف الاتهام بأن القرار "شائن وأن الإدعاء بأن إسرائيل تنفذ جريمة إبادة شعب هو ليس كذباً فحسب، بل مثير للامتعاض، واستعداد المحكمة لمناقشة تهمة الإبادة هو وصمة عار لن تمحي على مرّ الأجيال، ويجب على كل الأشخاص المحترمين فى كل مكان أن يرفضوه"، وفى الوقت ذاته وجدنا المتحدث باسم الخارجية الأمريكية يقول: «إن إتهام إسرائيل بارتكاب إبادة جماعية فى غزة لا أساس له من الصحة، وأن العدد الحقيقي للقتلى المدنيين هو صفر" وكأن ما يقع أمام مسمع ومرأى العالم على مدى أشهر لتصفية شعب غزة من نسج الخيال ..! ، وفى شأن المحكمة الدولية لابد من توجيه الشكر لجنوب أفريقيا فهبتها جرجرت إسرائيل رغماً عن أنفها إلى محكمة دولية وهو أمر أكدّ بأنه ليس مقبولاً اي حلول تنظر بدونية للشعب الفلسطيني، بينما تنظر بفوقية للاحتلال، ليس من المنطق ولا الأخلاق، ولا القيم، ولاشيئ من ذلك.

إن القضية الفلسطينية لم تكن واضحة كما هى عليه اليوم، فقد عادت إلى الحياة بعد موت سريرى ظلّ لسنوات طويلة ظننا خلالها بأن القضية لن تعود إلى الحياة مرة اخرى، كما هو واضح انه لم يعد هناك متسعاً للعناوين والشعارات والعناوين التى تقفز الى الواجهة عند كل لقاء او اجتماع او مؤتمر قمة، تتحدث عن كل شيئ ولا تقول ولا تفعل شيئاً .. وطالما باتت الأمور على المكشوف سيكون من الخطأ النظر إلى ما يجرى من منظار ضيّق يتجاهل أن غزة هى ضمن القضية المركزية للعرب التى بات هناك على المكشوف أيضاً ومن أنظمة عديدة، منها وللأسف أنظمة عربية من لا يريد أن تكون هذه القضية ان تكون مركزية، بل يريدون لنا بالرغم من كل ذلك أن نعيش زمن التطبيع مع إسرائيل، الزمن الذى قال عنه نزار قبانى قبل سنوات بأنه "زمن يهجم علينا، بكل سماسرته، وشيكاته، ومافياته.. زمن تتناثر فيه الضمائر، والسماسرة يعدون الوثائق الرسمية لبيع التاريخ، بعد تجريدنا من آخر ورقة توت نستر بها أجسادنا ."

هل يمكن أن يحدث أسوأ مما نحن فيه فى هذا الزمن الذى تتساقط فيه الأقنعة عن الأقنعة..؟!

لدورها في البناء وتنمية المجتمع

الاستثمار في المرأة لتسريع وتيرة التقدم

يُعدّ دور المرأة من أكثر الأدوار تأثيراً في المجتمع، حيث تلعب دوراً أساسياً في بناءه وتنميته. ولا يكتملهذا الدور دون القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة والمساواة بين الجنسين.

عملت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على تأكيد مبدأ المساواة على أساس النوع الاجتماعي، وتبنت عدداً من الاتفاقيات التي تكفل حقوقاً خاصة بالمرأة، جعلت المنضمين لهذه الاتفاقات والموافقين عليها ملزمين بتنفيذها. كما اعتمدت الدول أهداف التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠ بأهدافها الـ ١٧، والتركيز على الهدف الخامس وهو «تحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين كل النساء والفتيات» لتقديم خيارات وفرص أفضل لسد الفجوة بين حقوق الإنسان والتنمية، وبذلك أقر المجتمع الدولي أهمية دور المرأة في المشاركة في التنمية المستدامة.

دينا الأمير

المرأة شريك الرجل وعضو فعّال في المجتمع والركيزة الأساسية داخل الأسرة والمجتمع، وينبغي تعزيز دورها ومساندتها وتذليل الصعوبات التي تواجهها والنهوض بها بشكل أكثر فاعلية للقيام بالدور المنوط بها. وتعتبر المساواة بين الجنسين شرطاً أساسياً لتطوير التنمية، وينبغي توافر قناعات سياسية حقيقية واتخاذ كافة التدابير والإجراءات العاجلة والجذرية لتحقيق المساواة والقضاء على التمييز في جميع المجالات، ومنح النساء ذات الفرص الذي يحصل عليه الرجل والتمتع بكافة الحقوق.

النساء يمثلن نصف سكان العالم تقريباً ويشكلن قوة داعمة للتطور والتحول في المجتمع، ولتعليمهن وتمكينهن وانخراطهن في البناء والتنمية تأثير إيجابي للارتقاء بالأسرة والمجتمع، وله دور فعّال في مكافحة الفقر ودعم الاقتصاد الوطني، كما تحقق المرأة ثقتها بنفسها واحترام ذاتها وثقة بالنفس كونها عضو منتج وأساس في المجتمع.

وعلى الرغم من الاتفاقيات الدولية التي تؤكد حقوق المرأة، إلا أن الطريق لا يزال أمامها طويلاً لمواجهة القيود المفروضة عليها. ما زالت المرأة تعاني من التمييز والعنف والإقصاء لأسباب يرتبط بعضها بالدين أو الثقافة السائدة بالعادات والتقاليد أو بالقوانين والتشريعات التي لا تنصفها، كما أن للحروب والصراعات وعدم الاستقرار دور في عدم حصولها على حقوقها وحرياتها كاملة.

في ذكرى الثامن من مارس اليوم العالمي للمرأة، والذي يحمل هذا العام شعار «الاستثمار في المرأة لتسريع وتيرة التقدم»، أصبح تحقيق المساواة بين الجنسين أكثر إلحاحاً لضمان حقوق النساء والفتيات في شتى المجالات لبناء حياة أفضل لهن وللأجيال القادمة. وعلى الرغم أن المرأة أثبتت جدارتها في المشاركة ببناء المجتمع وتطويره وأثبتت نجاحها في مختلف مجالات العمل، إلا أن الفجوة بين الجنسين مازالت قائمة، ومازال أجور النساء أقل من أجور الرجال، وتمثيل المرأة في الهيئات التشريعية والتنفيذية وفي مواقع صنع القرار لا يرتقي لطموحات النساء.

وبحسب موقع هيئة الأمم المتحدة للمرأة وبمناسبة اليوم الدولي للمرأة 2024 فإن «التحديات الرئيسية أمام تحقيق المساواة القائمة على النوع الاجتماعي بحلول عام 2030 هو النقص المثير للقلق في التمويل، مع وجود عجز هائل في الإنفاق السنوي على تدابير المساواة القائمة على النوع الاجتماعي، والذي يُقدر بنحو 360 مليار دولار أمريكي».

وأكدت هيئة الأمم المتحدة للمرأة بأن هناك مجالات رئيسية تحتاج إلى العمل المشترك لضمان عدم إغفال النساء وهي كالتالي:

الاستثمار في المرأة:

قضية تتعلق بحقوق الإنسان. الوقت ينفذ. مازالت المساواة القائمة على النوع الاجتماعي أكبر تحدٍّ في قضايا حقوق الإنسان. ويُعتبر الاستثمار في المرأة من ضرورات حقوق الإنسان، وركيزة أساسية لبناء مجتمعات شاملة للجميع. لأن تقدم المرأة يعود علينا جميعاً بالنفع.

التمويل المُراعي لمنظور النوع الاجتماعي:

تُشير أحدث التقديرات إلى أن 75٪ من البلدان ستحدّ من الإنفاق العام بحلول عام 2025 بسبب النزاعات وارتفاع أسعار الوقود والغذاء. ويؤثر التقشف سلباً على النساء، ويحل محل الانفاق العام على الخدمات العامة الأساسية والحماية الاجتماعية.

التحول إلى اقتصاد أخضر قائم على الرعاية:

يؤدي النظام الاقتصادي الحالي إلى تفاقم الفقر وعدم المساواة والتدهور البيئي، مما يؤثر بشكل غير متناسب على النساء والفئات المهمشة. يقترح أنصار النماذج الاقتصادية البديلة التحول نحو اقتصاد أخضر قائم على الرعاية، يعمل على إيصال أصوات النساء.

دعم صانعي وصانعات التغيير النسويين:

تلعب المنظمات النسوية دوراً رائداً في معالجة فقر المرأة وعدم المساواة. ومع ذلك، فهي لا تتلقى سوى 0.13٪ من إجمالي المساعدات الرسمية للتنمية.

إن المساواة بين الجنسين حق من حقوق الإنسان الأساسية وهدف رئيسي من أهداف التنمية المستدامة، لذا على الحكومات النهوض بالمرأة والمساواة بين الجنسين وضمان التكافؤ على جميع المستويات، وإدراج برامج تمكين المرأة في الخطط والاستراتيجيات والميزانيات لتحسين المشاركة الفعلية للنساء لتحقيق نتائج أكثر فعالية واستدامة ومستقبل أفضل للجميع.

وللمرأة الفلسطينية وضع خاص، فهي تدفع ثمن الحرب والحصار والتي وضعتها تحت ظروف قاسية، فهي تتعرض لشتى أنواع الانتهاكات على أيدي الاحتلال الصهيوني من تعذيب وتهجير وأمراض وتردي الأوضاع الاقتصادية والمعيشية. ورغم ما تتعرض له المرأة الفلسطينية من استهداف مباشر، إلا أن ذلك لم يزدها إلا إصراراً لانتزاع حقوقها في المساواة والنهوض بمسؤولياتها ومواصلة النضال بجانب الرجل لمواجهة الاحتلال وتحمل مشاق الحياة.

(قف)

أزمة تكساس

فهد المضحكي

يستخدم الجمهوريون في الولايات المتحدة قضية الهجرة باستمرار لمهاجمة خصومهم من الحزب الديمقراطي، ومن المتوقع أن تزداد حدّة هذه الانتقادات مع اقتراب الانتخابات الرئاسية، وهو ما يحاول ترامب أن يواجه به بايدن لكسب السباق الرئاسي من جديد، حيث اتهم بايدن بالفشل في التعامل مع قضية المهاجرين بشكل صحيح، في المقابل تعتبر الإدارة المركزية أن الدستور الأمريكي يؤكد أن السيطرة على حدود البلاد مسألة فيدرالية ويحقّ للإدارة الأمريكية أن تتصرف فيها وفق ما تراه صحيحًا. تجري هذه الأحداث في ظل انتقادات لاذعة يطلقها ترامب بوجه بايدن وإتهام إدارته أنها تستعمل نظام العدالة والانتخابات كسلاح ضده، واصفاً إياه بأكثر الرؤساء فسادًا في تاريخ الولايات المتحدة.

خلال فترة حكم ترامب تمّ تشديد الرقابة على الحدود بشكل كبير للغاية، حيث شيّد جدارًا فاصلًا، لكن مع وصول بايدن تغيّر هذا الوضع، والفارق أن حاكم تكساس ومعه حكّام أكثر من 20 ولاية أخرى هم من الحزب الجمهوري، ولايزالون متمسكين بالإجراءات التي تحدث عنها ترامب في السابق. والجدير بالذكر، أن تكساس تكتسب خصوصية في قضية المهاجرين، نظرًا لارتفاع معدّل الهجرة إليها بشكل هائل، ولذلك اتخذت الولاية إجراءات فردية للحد من قضية الهجرة، ففي السابق استخدمت الأسلاك الشائكة لمنع تدفق المهاجرين من المكسيك. واليوم يدعو ترامب جميع الولايات إلى نشر حرّاسها في تكساس حتى يتوقف تدفق المهاجرين غير النظاميين.

ستؤثر أزمة تكساس على الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وهي بدأت بالفعل، وسيتقاذف الجمهوريون والديمقراطيون الاتهامات تصاعديًا مع اقتراب موعد الانتخابات في نوفمبر، لكن المعضلة الكبرى الوجودية للولايات المتحدة، هي احتمال انفصال تكساس لما يشكله ذلك من مخاطر اقتصادية وسياسية. وفي هذا السياق، وتحت عنوان "كيف تعزز معركة حاكم تكساس على الحدود الدعوة إلى انفصال الولاية؟" أوردت مجلة نيوزويك مقالًا يطرح فيه الكاتب فكرة انفصال ولاية تكساس عن الولايات المتحدة الأمريكية يقول فيه "إذا تحوّلت التوترات إلى أزمة، فهناك كثير من الفصائل، بما في ذلك القوميين من تكساس، على استعداد لتغيير الجغرافيا السياسية لأمريكا الشمالية.

وربما تكون المفارقة الكبرى هي أن القوة الوحيدة القادرة على إسقاط الولايات المتحدة، الكيان السياسي الأقوى بالتأكيد في تاريخ البشرية، هي الولايات المتحدة نفسها».

يرى البعض أن الانقسام الأمريكي ظل حاضرًا طوال عقدٍ من الزمن على الأقل، لكنه وفي الشهور القليلة الماضية قُدّم للرأي العام العالمي والمحلي بوصفه مجرد صراع انتخابي، واتهامات متبادلة بين الرئيس السابق والحالي!، في حين أن كل ذلك يعد جزءًا بسيطًا من صورة معقدة ومتداخلة، وثبتت الأحداث التي تشهدها ولاية تكساس مؤخرًا هذه الحقيقة.

كان الدور الذي تلعبه أمريكا على المستوى العالمي دائمًا مرهونًا – كغيرها من الدول – بوضع داخلي مستقر، ويبدو جليًا عند مراقبة سلوك واشنطن خارج حدودها أنه ارتبط بآجال زمنية، أي أن سياسيي الولايات المتحدة حددوًا "مدة صلاحية" لتنفيذ أهدافهم في كثير من الملفات، وإن كان تفسير ذلك يرتبط بالضغط الكبير الذي يفرضه التدخل الأمريكي في دول أخرى على نفقاتها ومخازن أسلحتها، فإنه يرتبط أيضًا بكافة جوانب الأزمة الأمريكية التي تتحول مع كل يوم جديد إلى عامل لا يمكن إهماله في الحسابات.

أثر ذلك على واضعي السياسات في واشنطن، ودفعهم لتحقيق جملة من الأهداف على مستوى العالم بشكل استباقي، إما لتأخير ظهور أزمتهم الداخلية، أو لخلق واقع يعقد الأمور أمام خصومه، وبذلك يعيق قدرتهم على ملء الفراغ الناشئ. ومع ذلك ظهر منذ أحداث الكابيتول في 2021 أن الأوضاع الداخلية تتطور أسرع مما يجب بالنسبة لهم، وأن الوقت ينفد. ما يمكن أن يكون له تأثيرات هائلة ومتسارعة في قدرة الولايات المتحدة على إعاقة التطورات الدولية الجارية.

العالم ٢٠٢٤: عام مضطرب آخر

حسين الشويخ

هبوط ناعم، وانتخابات «عالمية»، و«توقف» الصين، و«قرن آسيا» المرتبك والجغرافيا السياسية المحددة: كيف سيكون عام ٢٠٢٤ بالنسبة للاقتصاد العالمي – في توقعات خبراء الاقتصاد العالميين ؟

من المؤكد أن عام ٢٠٢٣ الماضي لم يكن عاماً هادئا بالنسبة للاقتصاد العالمي، لكنه لم يرق إلى مستوى التوقعات التي كانت في معظمها متشائمة. تمّ تجنب الركود في الولايات المتحدة، والذي توقعه ٨٥٪ من الاقتصاديين عشية عام ٢٠٢٣ ، على الرغم من الارتفاع الحاد في أسعار الفائدة؛ وتباطأ التضخم في البلدان المتقدمة بشكل أسرع من المتوقع؛ ولم تنزلق البلدان النامية إلى أزمة ديون؛ وفاجأ الاقتصاد الياباني العالم ببساطة بإنهاء (أو على الأقل وقف) ثلاثين عاماً من الركود الانكماشي.

النتائج الاقتصادية في 2023 مخالفة في معظمها للتوقعات. يقارن أستاذ الاقتصاد الفخري في جامعة نيويورك، المؤسس المشارك لفريق أطلس كابيتال، نوريل روبيني، الذي اشتهر بتوقعاته لأزمة 2008 وحصل على «لقب» الدكتور. لتوقعاته «المروعة» وانخفض التضخم، ولم يكن هناك ركود، وارتفعت أسواق الأسهم وانخفضت عائدات السندات – على الرغم من أن العكس تماما كان متوقعا.

لذلك، فإن أي محاولات للتنبؤ بعام 2024 يجب التعامل معها بضبط النفس، كما يخلص الدكتور الشهير. Doom. توقعاته لهذا العام مقتضبة: ستنمو الاقتصادات المتقدمة، على الرغم من أنها أقل من الإمكانات، وسيتباطأ التضخم إلى الهدف 2٪ بحلول عام 2025، وستبدأ البنوك المركزية الرائدة في العالم في خفض أسعار الفائدة في النصف الأول من عام 2024، للاقتصاد العالمي باعتباره إن الخيارات المتاحة في مجملها تتلخص في الركود، كما أن النمو السريع ليس مرجحاً بنفس القدر.

والأمر الرئيسي الذي قد يدمر هذا السيناريو ــ سيناريو "الهبوط الناعم" استناداً إلى نتائج المعركة الناجحة ضد ارتفاع التضخم العالمي ــ هو الجغرافيا السياسية. لقد أصبح أحد العوامل الاقتصادية الرائدة.

في عام 2024، تشكل الجغرافيا السياسية ثلاثة مخاطر على الأقل على الاقتصاد العالمي ، كما يقول روبيني. وهذه هي: 1) صدمة تضخمية جديدة نتيجة للقفزة في أسعار الطاقة إذا تصاعد الصراع في قطاع غزة إلى حرب إقليمية أوسع تشارك فيها إيران. 2) تباطؤ معدلات النمو بسبب التوترات المتزايدة في العلاقات بين الولايات المتحدة والصين (إذا لم تتعطل التجارة العالمية بشكل خطير بسبب هذا التوتر؛ وإذا كان الأمر كذلك، فمن المرجح أن يكون التأثير تضخمياً مصحوباً بالركود، أي طفرة جديدة). في التضخم مع تباطؤ النمو الاقتصادي)؛ 3) قد تحدث صدمة كبيرة أخرى في نهاية العام فيما يتعلق بالانتخابات الرئاسية الأمريكية – على الرغم من أن ذلك سيكون له تأثير أكبر على توقعات عام 2025.

عودة "القرن الآسيوي"، الذي سينجذب فيه العالم نحو المراكز الاقتصادية في هذه المنطقة، يتنبأ بها الاقتصاديون في المنتدى الاقتصادي العالمي. ظهرت فكرة "القرن الآسيوي" في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين وسط صعود الصين، لكنها تلاشت إلى حد ما في السنوات العشرين التي تلت ذلك.

ومع ذلك، يكتب الاقتصاديون، أنه على الرغم من تباطؤ الصين، و"انفصالها" عن الغرب بقيادة الولايات المتحدة، وخطر الحرب بشأن تايوان وبحر الصين الجنوبي، فإن آسيا تظل وستظل قاطرة الاقتصاد العالمي: مساهمتها ومن المتوقع أن يصل نمو الناتج المحلي الإجمالي العالمي في عام 2024 إلى 60٪، وسوف تبلغ الحصة في الطبقة المتوسطة العالمية 50٪. كما تقود المنطقة أيضًا الطريق في مجال التجارة الإلكترونية، حيث تعمل على تعزيز علاقاتها المالية، كما أن استخدام منصات الدفع عبر الهاتف المحمول عبر الحدود إلى جانب إدخال اليوان الرقمي والروبية الرقمية سيزيد من تعزيز التجارة البينية.

وعلى الرغم من أن اقتصادات المنطقة لا تزال تعتمد في الغالب على التكنولوجيا المنخفضة، فإن الكثير منها يستثمر بنشاط في قطاعات التكنولوجيا المتقدمة. وبسبب القيود المفروضة على التصدير في الولايات المتحدة، تحولت الصين إلى سنغافورة كمصدر لاستيراد معدات تصنيع الرقائق؛ وتقوم شركة TSMC التايوانية، أكبر شركة مصنعة لأشباه الموصلات، وشركة Micron Hana الكورية الجنوبية، المتخصصة في تجميع الرقائق، بتوسيع إنتاجهما في المنطقة؛ أصبحت تايلاند وإندونيسيا، اللتان تجتذبان استثمارات من شركات صناعة السيارات مثل تويوتا وهيونداي ، مراكز إقليمية لإنتاج السيارات الكهربائية . ويخلص الاقتصاديون إلى أن الانفصال بين الصين والغرب قد عزز التحديث الصناعي الإقليمي وشبكات الإنتاج الأكثر كثافة؛ وسوف تعمل اتفاقية التجارة الحرة الإقليمية (RCEP) على تسهيل حركة رأس المال والتكنولوجيا والسلع والخدمات داخل آسيا.

ومع ذلك، بما أن آسيا لديها أنظمة سياسية وأنظمة إنتاجية وتجارية ومالية "غربية" و"غير غربية"، فإن قيمها وقواعدها غير المتوافقة دائمًا ستتطلب "غموضًا استراتيجيًا" ومرونة من اللاعبين الإقليميين. وفي "قرن آسيا" سوف يصبح العالم أكثر تنوعاً وتعقيداً وتعقيداً، ويحكمه توازن دقيق في علاقات القوة.

سيكون عام 2024 عام "الانتخابات العالمية" – حيث ستُجرى الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في 64 دولة وستؤثر على إجمالي 4.2 مليار شخص، أي أكثر من نصف سكان العالم: ولن يشهد العالم تكرارًا لمثل هذا " الدورة الانتخابية الفائقة "حتى عام 2048، الشؤون الخارجية المحسوبة ومن شأن مثل هذا الجدول الزمني الضيق للانتخابات أن يخلق المزيد من عدم اليقين. ولن تؤثر نتائجها على الأجندة المحلية للدول فحسب، بل وأيضاً على آفاق الاقتصاد العالمي إلى حد كبير. ستُعقد أول انتخابات كبرى في منتصف يناير/كانون الثاني في تايوان : فإذا فاز المرشح الرئيسي في استطلاعات الرأي، ويليام لاي، المؤيد لاستقلال تايوان، التي تعتبرها الصين مقاطعة جزرية تابعة لها، يمكن للصين أن تزيد عسكرياً واقتصادياً وسياسياً. ولا يستبعد ريتشارد هاس الرئيس الفخري للمجلس الأميركي للعلاقات الخارجية هذا الاحتمال .

إن الانتخابات في إسرائيل، والتي من المحتمل أن تجرى هذا العام أيضاً، قد تحدد ليس فقط تطور الصراع في غزة، بل وأيضاً الوضع في مختلف أنحاء الشرق الأوسط. فالانتخابات مقبلة في أكثر من اثنتي عشرة دولة أوروبية، بما في ذلك المملكة المتحدة وفنلندا، وكذلك في الاتحاد الأوروبي (البرلمان الأوروبي)، وفي عدد من الاقتصادات النامية الكبرى، من المكسيك والأرجنتين إلى الهند وإندونيسيا.

لكن الانتخابات الأكثر أهمية ستكون في الولايات المتحدة – ولن ينتخب المواطنون الأمريكيون رئيسا فحسب، بل سيحددون أيضا توازن القوى في الكونجرس. والآن أصبح مجلس الشيوخ، «في أيدي» الديمقراطيين، ومجلس النواب، في أيدي الجمهوريين؛ ويعتقد هاس أنه بعد نوفمبر 2024، من المرجح أن ينعكس الوضع. ثم، إذا فاز الجمهوري دونالد ترامب بالانتخابات الرئاسية (كما هو متوقع، سوف تتكشف المعركة بينه وبين الرئيس الحالي جو بايدن)، فقد يصبح مجلس النواب هو العامل الأكثر أهمية الذي يحد من سلطته؛ وإذا فاز الديمقراطي بايدن، فإن حكمه سيتغير. سيكون الأمر معقدا بشكل كبير من قبل مجلس الشيوخ الذي يسيطر عليه الجمهوريون. وقال كين واتريت، نائب رئيس ستاندرد آند بورز ، إنه بغض النظر عن نتيجة الانتخابات، فإن حالة عدم اليقين المحيطة بها ستشكل عبئا على التوقعات الاقتصادية . «العام الطويل» الذي بدأ في 7 أكتوبر 2023 وينتهي في 20 يناير 2025، يوم تنصيب الرئيس الأمريكي، سيكون عام التفاعل بين الحروب والانتخابات، كما يرى إيفان كراستيف، الباحث في معهد فيينا للعلوم الإنسانية. إن الصراعات العسكرية في أوكرانيا وغزّة والمخاوف من الصراع الأميركي الصيني بشأن تايوان سوف تؤثر على الانتخابات في الولايات المتحدة وأوروبا، كما ستؤثر الانتخابات في الولايات المتحدة وأوروبا على نتائج الصراعات.

عن كتابة المقال

شاركتُ ذات مرة في ندوة حول ولادة المقال وتحديات الكتابة اليومية وذلك في شتاء عام ٢٠٠٦. كنا نعيش في معمان الحراك السياسي الذي انطلق بعد تدشين مشروع جلالة الملك الاصلاحي السياسي عام ٢٠٠١ – ٢٠٠٢، وكانت المواضيع كثيرة ومتنوعة والتنافس الإعلامي والسياسي بين عدة صحف على أشدّه، وكنا نكتب بسهولة ويسر وسلاسة، إذ تخففت حتى إدارات الصحف الرسمية وشبه الرسمية المحافظة والحذرة في ذلك، من كثير من القيود التي التزمت بها إبان سيادة مرحلة امن الدولة واجتهدت قدر المستطاع لمجاراة سقف الصحف الخاصة المرتفع نسبياً وغير المعهود في بلدنا لسنوات طوال.

عصمت الموسوي

من أين وكيف نستقي الأفكار والمواد التي تعيننا على كتابة المقال اليومي؟

الواقع إن أهم عامل ساعدنا على الكتابة اليومية هو الانفتاح الديموقراطي النسبي العام والذي طال كل شؤون الحياة حولنا، والذي انعكس على أحاديث المسؤولين والوزراء، وقد حظيت زاوية بريد القراء في تلك الفترة بمشاركات مختلفة وتوسعت واحتضنت أقلاماً جديدة وواعدة وغير مألوفة. هذه الصفحة بذاتها كانت أحد روافد كتابة المقال اليومي بالنسبة لي شخصياً، إذ أشرفت على الزاوية على مدى عامين، وكنتُ أتلقى الاتصالات الهاتفية والرسائل الورقية والإيميلات الإكترونية، فأختار تلك الأكثر تشويقاً وغرابة، لأبدأ بها مقالي اليومي، وكثيراً ما تلقيتُ الرسائل من ربّات بيوت ورجال أمين يطرحون بعض إشكالات في حياتهم ومهنهم ويودون عرضها وسماع وجهة نظر المسؤولين والقرّاء حولها.

إن كتابة المقال تستدعي المتابعة اليومية للكاتب أو الصحفي لمختلف الشؤون المحلية والسياسية، لذا هي تقتضي القراءات المختلفة والمشاركة في الندوات وحضور المؤتمرات في الداخل والخارج وانفتاح الناس وإقبالهم على الكلام الأكثر جرأة وتحرراً، ومشاهدة الأفلام السينمائية وارتياد المجالس الحوارية، والواقع أن فتور الكتابة لدى كتاب المقال يبدأ حين يضعف الحراك السياسي والإعلامي، وتعود القبضة الأمنية لممارسة الضغوط تحت مبررات ومزاعم شتى. إن الصحافة العربية التقليدية ضربت في مقتل بعد أحداث الربيع العربي، إذ ارتفع منسوب الحسّ الأمني والعسكري وادارت مكاتب الاستخبارات العربية السردية الاعلامية والسياسية، وتخلصت الصحف من جميع كتّابها المشاكسين ملتمسة السلامة ومعتنقة مبدأ الحذر الشديد مع الجانب الرسمي، في أقلّ من شهرين، وبعد فضّ التظاهرات عدنا إلى ما كنا عليه، وانعكس الجمود والخوف على أغلب الصحف المؤسسية الخاصة والعامة فهرب الناس إلى عالم السوشيال ميديا الذي لم يكن أقل خطورة من الصحف الخاضعة للرقابة.

في مثل هذه الأجواء الملبدة بالخوف والحذر والرقابة الذاتية، من أين للكاتب أن يستقي مادة يومية للكتابة ؟ فهل يعتزل أم يجاري الوضع المتردي ويتقهقر ويطأطأ ويخفض رأسه للعاصفة – التي اعتقد كثيرون أنها مجرد برهة زمنية قصيرة – فإذا هي تمتد لسنوات، وخلال هذه الفترة كيف ننسى المزاج العام للناس الذي تغيّر هو الآخر بدرجة دراماتيكية، ولم يعد القراء يطربون لما اعتادوا عليه في المقاربات والتحليلات السياسية والاجتماعية والثقافية. تغيّر الحال، واستداروا بعيداً عن كتّابهم وصحفهم المألوفة، وصار على الكاتب القديم، المخضرم أوالجديد، أن يبذل مجهوداً أعظم لاستعادة القرّاء الذين كان يعرفهم، ناهيك عن اكتساب شرائح جديدة منهم.

وفي تلك الندوة في ذلك المساء الجميل، حيث انتشى الحضور بالحوار والتشارك الخلّاق والتفاعل الحيوي والتحدث وجهاً لوجه مع كتّاب الصحف المعروفين في ذلك الوقت، قلت: إن أسئلة الجمهور ومقارباتهم وتبادلهم الرأي الحرّ الجريء مع الكتّاب هي بحد ذاتها عوامل مُحفزة ومُشجعة وملهمة للكاتب.

لحظات مثل هذه، تعد دافعة وموّلدة لعشرات المقالات المستقبلية، لحظات نفتقدها اليوم ونخسر كثيراً لإنعدامها.

نحـــو وعـي ناضـج

حين نتطور بأفكارنا وننتقل من صومعة الانغلاق لنتوسع في رحاب الأممية ونتغلغل في أفضاءات روضاتها المستنيرة، نستطيع أن نكرّس الحرية ومفاهيمها، كما نكرّس التوعية ونخرج من شرنقة التسيب واللامبالاة، نستطيع فهم واقعنا بصدقية وواقعية من خلال قراءته بجدية وتمحص راقٍ، وحتى لو أننا نحبو نستطيع وقف هذا التباطىء، لننهض ونمتشق أقلامنا لنبدأ من الحرف الأول لنستمر في مسيرة العطاء.

لن نتمكن من اجتياز الطرقات الوعرة إلا إذا تحدينا هذه الوعورة بتدبر وإمكانية وحكمة وحنكة واتخاذ قراءة صائبة تضع حجراً لأساس لبناء صحي قويم وسليم.

قاسم الحلال

في أيـام شبابنا قرأنا العديد من الكتب لكن لم نطبق إلا القليل، الأمر الذي جعل تقدّمنا بطيئاً، حيث تقاعسنا وانكفأنا على قراءة الروايات التي كانت حينها تشدّنا، لكنها تركت بصمات رائعة كونها ورايات لكتّاب عظماء، تحاكي الناس البسطاء المهمومين وتمسّ قضاياهم الاجتماعية من أمثال مكسيم غوركي ودوستويفسكي وسلامة موسى وجـورج حنا ونيكولاي أوستروفسكي وسومرت موم وتشارلز ديكنز، كما قرأنا المحلات الوطنية ونشراتها السياسية التي أطعمتنا الوعي والتنوير، فاستطعنا أن نتوسع ونتشرّب الحسّ الثقافي الوطني، حيث انتعشت مداركنا المتواضعة، ما دفعنا للاستمرارية في المسيرة النضالية، وذلك بفضل من أخذوا بيدنا نحو ثقافة متميزة رفعت من مستوانا العلمي والعملي، ولن تتمكن فينا الجدية الخلاقة إلا في وقت متأخر للأسف، بهذا نحثّ الأجيـال الصاعدة الجديـدة أن لا يضيعوا فرصاً أضعناها أخذت منا الكثير من التأخير في صقل مهاراتنا الإبداعية، حيث بإمكاننا أن نعطي الكثير لتنوير أبناء مجتمعنا أكثر من ما أعطيناه.

إن أي استنتاج وأي طـرح لأي رؤى بخصوص قضية ما من الضرورة أن يقاس من كل الزوايا والجوانب مع مراعاة كل الظروف الموضوعية والذاتية بكل صدقية، بدون توجهات عاطفية او انحيازية بعيدة كل البعد عن التسييس، والعصبيات والإثـنـيـات، وذلـك ليكون الطرح موفقاً وبموضوعية سلسة تسير فيها الأمـور بمعطيات تخدم الـوطـن والمـواطـن بكل أطيافه وتوجهاته وبموقف واضح الحلول بين القناعة وأصل المفاهيم نابع من مبادئ وطنية. كل هذه تحديات يجب أن نتوقف عندها إذا أردنا عبوراً آمناً لخطوات نضالية صحية تنشد سبر أغوار المسارات النقية التي تحقق آمال البشرية.

اليوم تستوقفنا قضية نكبة شعوب وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني البطل الذي عانا مؤخراً من نكبة لا مثيل لها حتى عند النازية الهتلرية بدعم واسناد من الامبريالية الأمريكية بقيادة آلتها الـCIA . ناسف لهذا الوضع المزري الذي أصبحنا نعاني منه، حيث الانبطاح المتعمد وقلب الموازين وتزوير الحقائق، فأصبحنا في وضع لا يطاق، حيث تكمم فيه الأفواه ويسود النهب السافر، فأصبحت الغلبة هي من تشرع الفساد والمحسوبية وكل ألـوان العفونة بصورة سافرة، بلا خجل، فنصطدم بتوجه أو صد باب التعاون والحفاظ على بيضة القيم النبيلة الجامعة.

للأسف هناك من يحاول شيطنة القوى الوطنية وتهميش دورها الريادي في دفاعها عن الديمقراطية وحقوق الإنسان والقيم الإنسانية التي تحثّ عليها كل الأمم، فلا يوجد إنسان يبغض الحق، وهذا ما تسعى إليه القوى المحبة للسلام والخير والرفاهية لكل انسان على هذه الأرض. فما الضير لو تعايش كل من يسعى إلى التقدم والازدهار وحب الوطن؟

البعض يطرح تـبريـرات لا تنسجم مع الوثائق الديمقراطية التي هـي عصب التفاهم لوضع أساس يخدم الحلول لنزع فتيل الخلاف والنفور والكراهية والتعصب، وهي أمور منبوذة تناقض آمال الشعوب ولا تهدف إلى استراتيجيات مستقبلية، فلا تغتالوا حلم شعوبكم التي تحلم بالعيش الكريم وتحقيق العدالة.

لا سماء..
ولا أخيّلـــة

بتول حميد

أهي صورة شعرية بالغة في عالم لا شعري؟
25 عاماً بلياليها الكاحلة
وغشاوتها السوداء القاسية..
لم يرَ فيها ضوء الشمس
إسفلت الشارع
تضاريس الأرض والمباني وشجر الزيتون..
لم يسمع زغاليل الحمام
لم يرتفع بصره نحو جبل
أو يسدل جفنيه لبحر..
أفقٌ أخرس بجدران صماء
لا سماء ولا أخيّلة..
وإن وُجدتْ أحلام هامسة هشمها مصباح الجلاد..
تصوّر لدقيقة واحدة
وجنة قلبه الضاحك ولمعان عينيه المسموع
أصابع قدميه وهي تركض بخفة بعد خروجه من النفق
تخيل لهاث أنفاسه قبيل الهروب..
رفيف أهدابه لعناق الهواء
تصوّر كيف لرجل كان حبيس أقبية التعذيب أن يمسك بالعالم في دقيقة؟

***

عزيزي دنقل
بتنا من القوم الذي لم يجد عيباً في الذهب
ولم يتعب بريقه عيوننا!
نشتري بالكرامة صمتنا
نبيعه في النهار التالي
بشعارات رنانة وقلب منكس
ندفن أشواقنا تحت أقمصتنا
نبكي لتأنيب الضمير
حين بلقننا طفل غزاوي درساً قاسياً تحت الأنقاض

***

ولأني أعرف فوهة الندم..
أصون سقوطي
أخبئ في نهدي قصائد ممزقة
جروح طازجة
ندوب تضرج صوتي
تطفئ بريق عيني وأنام
والفادح أني أستيقظ على المشهد نفسه!
ولأني إمرأة ألفت الخذلان..
تعلمتُ سريعاً
كيف أتنكر لخسائري
كيف أقبض على صرخة جوفي بكلتا يدي
أغرقها في ماء عيني
أبددها بابتسامة غامضة
تنكمش بين وجنتي وجفنيّ
وكلما طفرت دمعة في نبرتي
كتمتها بأغنية شقية

***

منذ سنوات وأنا
أغسلُ أحلامي بدموعي
أشدُ بلَلَها على حبل صوتي
تتعثر في مطلع أغنيةٍ وتشكو الصدأ

***

كل حزنٍ نبتلع دمعه
يتحوّل إلى حشرجة مزمنة
يعذبها الصمت ولا تقوى الكلام

***

نعم.. تخليتُ عن كل شيء
كل شيء
وتمسكتُ بقلبي
ثم خذلني هذا الهش الذي.. راهنت عمراً على صلابته!

سماء بلا قناع

هي رواية ثنائيات تتصارع: الشخص ضد قناعه، نور الشهدي ضد أور شابيرا، سماء الحيفاوية ضد أيالا الصهيونية، مريم المجدلية ضد بطرس، المخيم ضد المستعمرة، حي الشيخ جراح ضد محاولات هدمه، وبصورة أشمل حقيقة فلسطين ضد تزييف إسرائيل. هذا ما نقرأه في رواية «قناع بلون السماء» للروائي الفلسطيني باسم خندقجي التي وصلت إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية في لحظة مصيرية حساسة في وطن «باسم» ملونة بالدم، تدفعنا إلى تساؤل وجودي هل ما تزال الإنسانية بخير؟ فبعيدا عن أي تعاطف مع الرواية وصاحبها نتيجة ما يجري في غزة كتب باسم خندقجي نصّا ذا بنية فنية متقنة بتمكّن لا شك فيه من تقنيات اللعبة السردية وتخييل عالٍ راكمه بقراءات مكثفة في سجنه الصغير وبتجريب في أنواع كتابية متعددة قبل روايته هذه.

د.بروين حبيب

وسيرة الروائي باسم خندقجي بحدّ ذاتها حكاية تستحق أن تروى فهذا الشاب الفلسطيني الأربعيني (مواليد 1983) قضى لحدّ الآن نصف عمره في السجون الإسرائيلية، إذ دخل السجن سنة 2004 محكوما عليه بثلاثة أحكام مؤبدة في عملية سوق الكرمة، وكان يومها في سنته الأخيرة في قسم الصحافة والإعلام بجامعة النجاح الوطنية. ولكن أنّى للسجن أن يحتجز روحا حرة إذ واصل دراسته في العلوم السياسية منتسبا إلى جامعة القدس، منوِّعا كتاباته ما بين المقالات السياسية عن الكولونيالية وعن المرأة وبين الشعر حيث أصدر مجموعتين شعريتين ليستقر في ساحة الرواية منذ عشر سنوات حين صدرت روايته الأولى «مسك الكفاية» أتبعها بروايتين أخريين «نرجس العزلة» و«خسوف بدر الدين» قبل روايته الأخيرة هذه «قناع بوجه الشمس» التي كانت تحمل عنوان «شياطين مريم المجدلية» وصودرت مسوداتها منه يوم نقل من سجن «هيداريم» إلى سجن «نفحة» في صحراء النقب في الجنوب. ولا يزال هذا الكاتب العضو في اللجنة المركزية لحزب الشعب الفلسطيني يؤرق الغطرسة الصهيونية بفضحه لسرديتها بمقالاته ورواياته المهربة من السجون الإسرائيلية لتعانق سماء الحرية وفضاء النشر، فارضة نفسها بقيمتها الإبداعية لا بتعاطف يرفضه باسم خندقجي، كما يرفض أن يطلق عليه لقب الروائي الأسير، ولعل هذا ما جعله يتجنب الكتابة فيما يدخل تحت مسمى أدب السجون الذي كان منتَجا غالبا على الروائيين الذين كتبوا نصوصهم وراء القضبان. غير أن السجن الفعلي الذي يعيشه باسم خندقجي منذ عشرين سنة يأبى إلا أن يطل برأسه وإنْ على استحياء، سواء من خلال شخصية مراد صديق بطل الرواية «نور» وهو القابع في السجن يقضي حكمه بالسجن المؤبد كما هو باسم نفسه، أو من خلال جمل هي حديث الروائي عن نفسه من خلال قناع مراد، ويكفي أن نحذف اسم مراد ونضع مكانه باسم في جملة مثل «واجه مراد حديد المعتقل بإرادته الفولاذية، وهزم غربته المريرة بالأمل المتدفق من حبر قلمه، ليبارز الحرمان والانتزاع الحاد والممنهج للانسانية في زمنها ومكانها» لنجدها منطبقة عليه. فلا يمكن التفلت من السجن وآثاره على النفس ولو حاول الروائي واعيا أن يتجنب ذلك لكسر الصورة النمطية عما يسمى أدب السجون، ويكفي وصف واحد ورد في الرواية يختصر القصة كلها «السجن كثافة».

اختار باسم خندقجي لروايته شابا عاديا – لا تناسبه صفة البطولة ولو روائيا – فهو لم يكن مناضلا سياسيا ولا فدائيا بل رجل ثلاثيني تُختصر حياته في جملة انكسارات حيث يولد في مخيم في رام الله ليس مهما اسمه لأنه لم يرتبط بمجزرة، توفيت أمه وهي تمنحه الحياة وتمنحه وجها أبيض وشعرا أشقر وعينين زرقاوين تجعله يبدو للناظر إليه يهوديا أشكينازيا غربيا لا فلسطينيا عربيا لونت الأرض وجهه بسمرتها. دخل والده السجن بطلا فدائيا ربعَ قرن كامل ليخرج منه أطلالا محطمة بعد أن رأى شركاء النضال يتناهبون المنافع ويتقاسمون المناصب، فيصوم عن الكلام وهو يسوق أمامه عربة يبيع فيها القهوة والشاي. وحتى صديق «نور مهدي الشهدي» شخصية الرواية الأساسية يختطفه السجن منه ولا يُبقي صلتهما إلا خيطان واهيان: رسائل سرية يتبادلانها في ثنايا الكتب التي توصلها أم السجين مراد إليه، وتسجيلات صوتية من نور يخاطب فيها صديقه يدرك أنها لا تصل أبدا. ولم ينقذ نور من واقعه البائس في أزقة المخيم وهو الباحث في التاريخ وخريج المعهد العالي للآثار الإسلامية بجامعة القدس والمهجوس بحياة مريم المجدلية سوى العثور على هوية اسرائيلية باسم «أور شابيرا» نسيها صاحبها الأصلي في جيب معطف اشتراه نور من سوق الخرداوات، ليصبح أور (ومعناه نور بالعبرية) انعاسا مِرئاتيا وقناعا يلبسه نور الشهدي.

وفي لعبة سردية مقصودة تقوم على قصتين متوازيتين إحداهما معاصرة وأخرى غابرة يربط بينهما خيط حكائي دقيق كما فعلت أليف شافاك في «قواعد العشق الأربعون» وتبعها في ذلك محمد حسين علوان في روايته «موت صغير»، كتب باسم روايته بمسارين مسارٍ يقوم على تسجيلات صوتية عماده المعلومات التاريخية عَن مريم المجدلية وتاريخ المسيحية في قرنه الأول، ومسار آخر راهن هو تتبع نور لهذا التاريخ الذي أراد له في الأول أن يكون بحثا علميّا ثمّ حوّله إلى مشروع رواية عن المجدلية،في هوس بها دفعه إلى أقصى تخوم المغامرة حين تقمص شخصية أور شابيرا متسلحا بملامحه الأشكينازية وببطاقة الهوية المزيفة ليدخل إلى كيبوتس «مشمار هعيمق» والكيبوتس – كما وصفته الرواية – ليس القدس أو تل أبيب، الكيبوتس مستوطنة الأمن والعسكر وخندق دفاعهم الأول، تلك المستوطنة المقامة على أراضي قرية أبو شوشة المهجرة، والمجاورة لمستوطنة مجدو أو اللجون قرية المجدلية التاريخية. ولهذا الغرض التحق نور الفلسطيني متخفيا تحت قناع أور الإسرائيلي ببعثة تنقيبية عن فيلق روماني قرب مستوطنة «مشمار هعيمق» مندمجا حدّ التماهي مع شخصيته الجديدة ومع أعضاء البعثة الأجانب ومن بينهم إيلا الإسرائيلية، ومُعرِضا عن نصيحة صديقه مراد من وراء القضبان بالتخلي عن هوَسه بمريم المجدلية واستثمار معارفه التاريخية والآثارية في تناول قضايا معاصرة مثل بيوت أهالي حي الشيخ جراح أو الحفريات المستمرة تحت المسجد الأقصى. ولكن نور الشهدي كان قد أوغل بعيدا في ملاحقة حلمه الروائي لولا أن ردّه إلى حقيقته وجود بنت حيفاوية مشاركة في البعثة دون التخلي عن هويتها، فكانت المعادل الموضوعي لوضوح القضية يقوم وجودها على الحق لا الأمر الواقع، وتدافع عن هذا الحق بقوة المنطق لا بمنطق القوة. يصفها نور بأنها «ريحانة من بلاده هبت عليه بلا قناع» ويحسّ باسمها العربي «سماء إسماعيل» بردا وسلاما على قلبه. إصرارها على تبيان حق شعبها في الوجود وأن هذه الأرض لهم ونقض السردية الصهيونية وضعت نور في مواجهة مع نفسه اختصرتها هي بجملة واحدة «أنتظرُ عمرا كاملا للخلاص من هذه الهوية(الإسرائيلية المفروضة عليها)، وأنت خسرت عمرك كله لترتدي هذا القناع». وهذه المواجهة كان نور يعيشها يوميا في جدل لا منتهٍ مع قناعه أور شابيرا في صراع داخلي يهدد فيه كل واحد منهما بفضح الآخر. مع شعور مرير بالذنب من نور الذي زرع تقمصه شخصية أور «علقة خبيثة فيه امتصت دمه وأحالته إلى مترجم صهيوني فصيح اللسان». ولم يكن الخلاص من هذا الوضع الخطير الشاذ سوى بنزعِ القناع الذي جعل منه مسخا وخروجِه من الكيبوتس بعدَ معركة مسيرة الأعلام في القدس، وإلغاء عملية التنقيب بسببها. فتقف له «سماء» في نهاية الرواية بسيارتها لترجعه إلى مدينته وإلى حقيقته وتصبح كما قال لها «أنت هويتي ومآلي».

بقي أن أشير إلى أمر لفتني في آخر الرواية هو توجيه باسم خندقجي الشكر والعرفان لمن ساعده سواء بالمعلومات التاريخية أو بتفاصيل مدينة القدس الجغرافية في تقليد نفتقده في الروايات العربية بل وفي البحوث الأكاديمية، وكأن الروائي العربي بطل خارق يبني من عدَم قصرًا من الكلمات بجهده الفردي.

«قناع بلون السماء» رواية تستمد قيمتها من سردها المتقن ولغتها الموحية، لا من تعاطف مع كاتبها السجين أو مسرحها المحترق بالحقد الآن، مع يقيننا أن لا بد أن يبصر الروائي ووطنه حتما يومًا ما «سماءً بلا قناع».

حلوى العيد

عبدالحميد القائد

زنزانة إنفرادية ضيقة حطَّ فيها مجبرًا مثل طائر فقد عشه فجأةً وتاه الطريق منه وعنه أو هرب الحظ من تلافيف اكمامه. هنا عالم آخر لا يشبه الخارج. الداخل فيه لا يعلم متى يخرج أو لا يخرج، فهو ليس مسجلًا في التقويم بل ربما موعد إطلاق حريته مثبت في الدفاتر السريّة فقط.

يتمكّن غريب بعد محاولات مستميتة من تسلّق جدار الزنزانة والإنقضاض مثل نسر على كوة الشبّاك العالي الملاصق للسقف. الشباك يطلُّ مباشرة على باحة السجناء الجنائيين الواسع. كم هو محظوظ أنه رياضي نوعًا ما وخفيف الوزن واستطاع أن يحقق ولو جُزيء بسيط من أمنيته بالقفز والوصول إلى كوة هذه النافذة.

جالسٌ وحيدًا هنا ولكن سعيدًا نسبيًا لأنه على الأقل يمتلك من خلال هذه الكوة جزءا بسيطًا من العالم.. يستطيع أن يتنفس من الأعلى ولو بعيونه التي تتنقل بين زاوية وأخرى ووجه وآخر. هذه الكوة السحرية بالنسبة له هي معبره إلى العالم الذي يخفونه عنه.

اليوم يوم عيد. يطير فكره إلى الخارج، يتخيّل العالم وهم يحتفلون، يرقصون، يأكلون ما لذ وطاب من المأكولات والحلويات. السجناء في الباحة الخارجية يتحركون ذهابًا وإيابًا ربما يتصنعون الإبتسام والفرح فلا خيار آخر أمامهم. إنهم أفضل منه حالًا على الأقل لأنهم يتحركون بحرية ويستنشقون رائحة أكثر نقاءً ويذهبون إلى الحمام في أي وقت يشاءون مثل البشر، أما هو فهو قابعٌ في زنزانته المظلمة الرطبة –التي هي حمّامه أيضًا– التي تشتهر بين السجناء باسم "أم البول" حيث تعلوها حمامات تتسرب منها السوائل إلى زنزانته.

ها هو الآن يشم العيد ولو من بعيد. عيد بأي حال عدتَ، دون وليمة أو حلويات. كم تمنى في تلك اللحظة أن يتذوّق شيئًا حلو المذاق، حلوى بحرينية مثلًا فهو يشعر بجفاف ومرارة في حلقه ويحتاج لأي شيء حلو او ربما زجاجة بيبسي باردة مثلًا ليكتمل الإحتفال.

متكومٌ، صامتٌ في جلسته غير المريحة لكن هنا اكثر رفاهية من قعر الزنزانة النتنة. يمر شرطيٌ أسفل نافذة زنزانته ويلتقي بشرطي آخر، هو يعرفه من وجهه أنه من سكان الحي الذي يعيش فيه، يفتح الشرطي الأول علبة حلوى ويقدمها إلى الشرطي الأخر الذي يقتطع قطعة كبيرة من الحلوى ويبتلعها بنهم وهو يبتسم ويتبعها بفنجان من القهوة العربية وهو جالس في الأعلى يحدّق بحنق وقهر إلى ما حدث أمامه. أيها الحقير تأكل الحلوى وحدك، انظر إلى الأعلى على الأقل فأنا من نفس الحي وربما تربطنا صلة قرابة ..انظر وأرأف بحال هذا المعتقل الحالم المحروم من طعم السكر اي سكر ...أنظر وناولني قطعة ولو صغيرة من الحلوى. تجسّد الحلوى بل اقتحمها ولكن مع الأسف لم يستمتع بطعمها إلا بخياله الفنتازي. أي جوع للحلوى في تلك اللحظة. المشهد بالنسبة له تعذيب نفسي قاسٍ جدًا. آه من الحلوى عندما تكون قريبة منك وبينك وبينها قضبان.

الإماراتية وداد خليفة في رواياتها الثلاث

رائحة الجدّات وأنفاس المكان وذاكرة الزمان

وداد خليفة النابوده السويدي، كاتبة إماراتية، حاصلة على بكالوريوس علوم إدارية وسياسية من جامعة الامارات. عملت في مجال التعليم كمعلمة ١٨ سنة، ثم في الإدارة المدرسية لمدة ٥ سنوات، صدر لها كتاب بحثي بعنوان: «تاريخ الخليج العربي»، بالاشتراك مع د. راشد أبو زيد ، كما صدرت لها ثلاث روايات هي على التوالي: "زمن السيداف» في جزئين، «خبايا اللال»، «عشبة ومطر». لا يمكن وصف أعمالها الروائية على أنها تاريخية فقط أو اجتماعية فقط أو اقتصادية فقط أو سياسية فقط، في سردية كثيفة، تداخلت محطات الحياة وامتزجت برائحة الأماكن الأولى و تفاصيل المعيشة التي تكاد أن تحسها وتشم عبق ذاك المكان ، فقد نجحت الروائية بأن تأخذنا إليهم في رحلة نكتشف فيها كيف كان ذلك الزمان وتفاصيل المكان، في منتصف ثلاثينيات القرن التاسع عشر وحتى نهاية الستينيات عندما بدأت تلوح في الأفق بشائر التغيير من أثر التعليم الذي أقبل عليه الشبان والفتيات، والأفكار المستنيرة التي بدأت بالتحريض على رفض السلطات البريطانية لحكم البلاد .

مجد يعقوب

إنها روايات برائحة الجدّات، وأنفاس المكان وذاكرة الزمان الذي اختزن معاناة أهالي إمارات الساحل المتصالح، لتغدو بعد كل الذي مضى، إمارات اليوم التي تتسارع نحو الحداثة والتطور والبناء في نموذج قلّ مثيله في العالم العربي.

زمن السيداف

«زمن السيداف» رواية إماراتية خالصة، تكاد تكون سجلاً كثيفاً يزخر بتفاصيل تلك الفترة الزمنية بكافة جوانبها. زواية تستحق عليها صاحبتها التكريم وأكثرعلى هذا المنجز الوطني. الحياة في صحراء قحلت أرضها وشُح ماؤها، أوصدت الأرزاق أبوابها وفتح الفقر فاهه لتأكل أنيابه جسد الإنسان تقاسمه الغزوات والخلافات الداخلية ذلك النهش، فوجه الفقر المدقع الذي يلم به يقابله الرِّق والنهب المجتر للنذر اليسير الذي يملك.

هجمات الثأر المباغتة لـ (رجال بن ديلان) القادمين من عُمان على العائلات اللاتي له ثأر عند رجالها، حيث الوحشية محركاً لهم لارتكاب جرائمهم من قتل وحرق ونهب لكل ما تطاله أيديهم، حتى الأطفال الذين يحملون وزر آبائهم يتم انتزاعهم من حضن أمهاتهم اللاتي لا يمتلكن سوى ابتلاع آلامهن. تضعنا الروائية أمام بداية صادمة، مشاهد الهجوم المباغت، اختطاف الأطفال، لهاث الأمهات وهن يركضن بأذرع تحاول انتشال أولادهن من براثن الغياب، تركضن، تسقطن، تنهضن حتى يتكوّرن على آلامهن التي تستقر في محاجر عيونهن ولا تتلاشى كما طيف فلذة أكبادهن آخذ بالتلاشي .

يهدأ المشهد قليلاً من قسوة الرجال الضارية، وحوافر الخيول، زمجرة أصواتهم المختلطة بصراخ الخوف ورجاء الأمهات و استجداء الفرائس، تسكن الرمال ويأخذ كل منهم مكانه لاستعادة ما حصل، تنقشع الرؤية ونلج في التفاصيل وربما تفاصيل التفاصيل، إذ أنها ليست حياة واحدة لعائلة واحدة، بل ربما حيوات متعاقبة على أهالي إمارات الساحل المتصالح، حيث كانت المعيشة في غاية بساطتها. العائلات قليلة تتجمع في أطراف متقاربة معاً "الفريج" تجمعهم أهوال المعاناة التي يتحملونها معاً، نساء وأطفال في انتظار عودة الرجال من رحلات الغوص الطويلة ، اللؤلؤ الطبيعي المصدر الرئيس للرزق رغم ما يكتنف الحصول عليه من مخاطر وربما الفقد أو المرض أو ضياع الرزق وسرقته، لكن الفرح في عيون النساء والأطفال يزغرد عند عودة الغواصين، ولأن ليس للحياة وتيرة واحدة تتعثر هذه المهنة بظهور اللؤلؤ الصناعي، الذي أوقع البلاد في ظروف صعبة و عوز شديد وشاركهم هجوم الجراد في ذلك.

ظهور الرّق أو المملوكين نتيجة هجمات الثأر واختطاف الأطفال من عائلاتهم ومنحهم للعائلات الكبيرة للخدمة في بيوتهم أو تسييرأعمالهم، وتصبح هذه العائلات متحكمة في مصيرهم وشؤونهم كافة، وما كان الخلاص من هذه العبودية إلا بالعتق والذي كان نادراً ما يحدث أو باللجوء إلى "الحطبة" وهي السارية المنتصبة وسط ساحات مراكز الشرطة البريطانية، أو بالهروب خارج البلاد كلها، عندما بدأت مظاهر التجارة البحرية تتشكل مع الهند وشرق إفريقيا، مما جعل بعض العائلات الكبيرة تجني الأرباح الوفيرة تختزنها وتهربها على هيئة "تولات ذهبية" وعملوا على توسعة تجارتهم، كما عملت التجارة على اتساع الرؤية لدى بعض الشباب الذي تنقلوا بين البلدان للتجارة أو القليل جداً ممن غادر لطلب العلم، حيث عادوا إلى البلاد بنظرة مختلفة وبكراهية مضاعفة للسلطات البريطانية التي كانت تُغرق

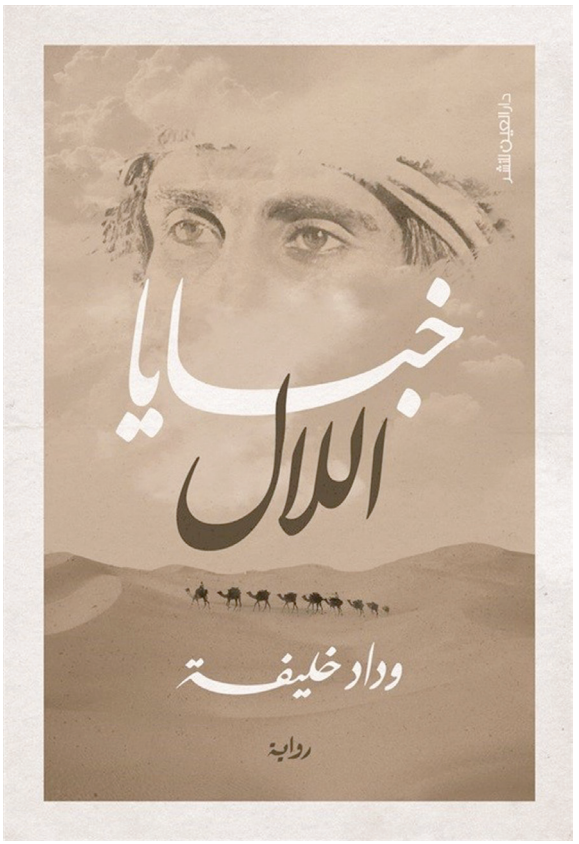

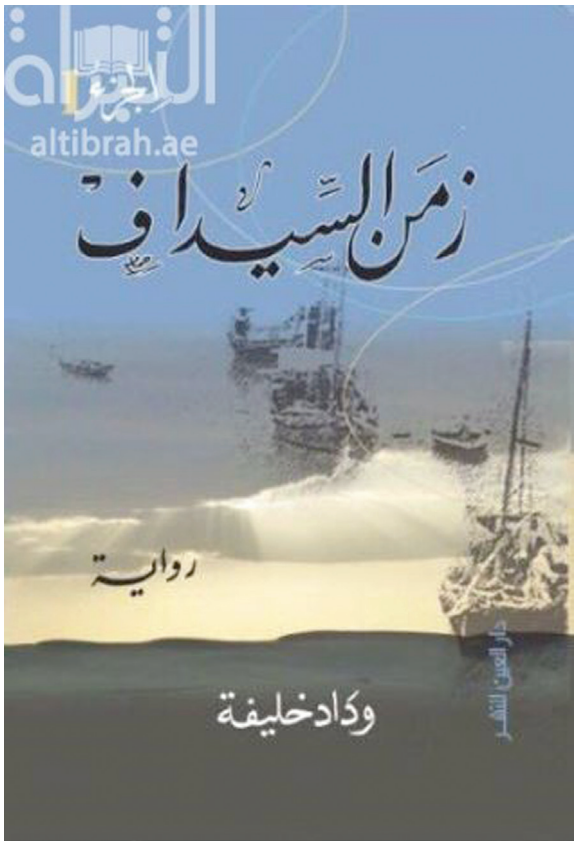

أهالي الساحل المتصالح بالجهل وسطوة القوة. يشاركهم بالتنوير، دخول المذياع إلى المقاهي وبعض البيوت الكبيرة حيث أصبح بإمكانهم معرفة ماذا يجري في العالم من حولهم. مجموعة قليلة من الشباب المستنيرين دأبت في القراءة والبحث والاطلاع، ومتابعة ما يجري في العالم وأحداث مصر وممارسات البريطانيين في فلسطين، والانتقال من مرحلة الكتاتيب إلى التعليم النظامي، حيث توجه الطلاب إلى إمارة الشارقة التي افتتح حاكمها أول مدرسة نظامية "مدرسة القاسمية" وإعادة إحياء مدرسة الأحمدية في دبي ومن ثم تطوّر الأمر إلى افتتاح مدرسة لتعليم الإناث في الشارقة "مدرسة الزهراء».

أصبح طلاب المدارس يرمون الحجارة على سيارات البريطانيين، في إشارة إلى رفضهم وطلب خروجهم من البلاد. كما وبدأت مظاهر التحسن المعيشي تظهر شيئاً فشيئاً، بناء مشفى في دبي، دخول المولدات الكهربائية، وسفلتة بعض الشوارع، والتطور آخذ بازدياد، وتزايد أعداد الطلاب كذلك والتحاق العديد من الفتيات بالتعليم.

«موزانة» الشخصية المحورية في الرواية التي تدور بها وحولها الأحداث، تُحرم من طفولتها وعائلتها بعد اختطافها، يتمّ ترحيلها من مدينة العين إلى دبي، ولم تكن قد تجاوزت العشر سنوات لتعاني أشدّ ما تعانيه طفلة وجدت نفسها في عالم بعيد عن حضن أمها، فكم كانت تقضي الليالي منهكة من النحيب دون أن تجد من يكفكف دموعها لتصحو فجراً للخدمة وما اعتادت عليها، تكبر موزانة خادمة في البيت الكبير ونظرة الفقد والحزن لم تفارق عينيها.

شخصيات عديدة تشارك في بناء هذا العمل الروائي الكثيف، وربما تزيد السرد سرداً يغرق في التفاصيل التي تشعرك بالإفاضة في بعض مواضع الرواية. تتعدد صور المرأة في الرواية من موزانة المختطفة التي وجدت نفسها عبدة عند إحدى العائلات الكبيرة إلى "الأم العودة" التي نرى بها أنموذجاً للمرأة القوية المتحكمة بمصائر مخدوماتها والتي تمارس مهنة التجارة والتي تطلق كلماتها وعوداً صارمة، إلى الأم الثكلى التي فقدت أبناءها ولم تأل جهداً في البحث والسؤال.

تعاني "موزانة " ما تعانيه من قسوة الاختطاف وحرمانها الأهل والعائلة التي عثرت عليها بعد زمن طويل جدا تمكنت من خلاله موزانة أن تودع الطفولة وحدها وتستقر كخادمة في بيت أمنا العودة، إلى زواجها من الذي تركها وغادر البلاد ليتخلص من العبودية، حتى تلتقي ب(عوض) الرجل الذي أعاد لها بعضاً من جمال الحياة والذي أعاد بعضه الآخر ابنتها .تقضي " موزانة " كل عمرها وهي المملوكة الخانعة المستسلمة لكل ما تؤمر به، وحدها الدمعة لم تفارقها، ووحده الحب بين ضلوعها يدعوها للتمرد بكل ما أوتيت من قوة، من أجل صالح ابنتها وحقها في التعليم، وليس هناك من سبيل للخلاص سوى التوجه إلى "الحطبة." على باب مركز الشرطة التي تتوسطه "الحطبة" وهي السارية التي تقف وسط ساحة مركز الشرطة، تقف "موزانة" ويمرّ شريط العمر بأكمله أمام عينيها وإصرار أكبر من الآلام التي مرّت بها، وما أن تهم بالدخول، حتى تسمع صوت زوجها عوض من بعيد يناديها: «عودي ... عودي.. موزانة .. لم تكوني يوماً مملوكة .. ولم يكن سوى وعداً".

خبايا اللال

تعيدنا الروائية إلى حيث ما وصلنا قبلاً في روايتها الأولى «زمن السيداف» عن حياة أهالي البلاد ومتاعب الحياة وشظف العيش عندما بدأت تجارة اللؤلؤ في الخفوت وصولاً إلى المطاحن الاجتماعية والظلم وظهور طبقة المملوكين، لتواصل سردها في إصدارها الثاني «خبايا اللال» ما حلّ بالديار والقبائل والعشائر وأبناءها أثناء البدء بعمليات التنقيب انتهاءً بالتمرد والإضراب واستخراج النفط والبدء بتصديره . تقول: لم يكن الأمر سهلاً على القبائل الأول الذين عُرفوا بفطنتهم وفراستهم أن الذهب الأسود القادم سيأتي بالكثير ويأخذ الكثير. حيث كانت البلاد ما تزال بكراً لم تطأها قدم غريب.

تدور أحداث الرواية في الفترة الزمنية الممتدة من أواخر ثلاثينيات القرن المنصرم حتى بداية الستينيات (12 ديسمبر1963)، عندما تم تعبئة أول ناقلة نفط، حيث وصلت الناقلة "إسودبلن" قبالة ميناء جبل الظنة لتحمل الشحنة الأولى من نفط حقول أبو ظبي البرية بعد سنوات طويلة من العناء والعمل المضني والانتظار والتأرجح بين اليأس والأمل. وتبدأ فصول الرواية الأولى باستطراد فائض في سرد التفاصيل التي جاءت تقريرية بحتة والوقائع عن عمليات التنقيب الأولى عن النفط من قبل الانكليز الذين جاؤوا في بادئ الأمر بحجة البحث عن الماء، ثم تبيّن فيما بعد أن غايتهم كانت التنقيب عن النفط، وما البحث عن الماء سوى خدعة ليمروا من خلالها لغايتهم ثم وعودهم بالخير الذي سيعم حين اكتشاف النفط .

تقول الحرة إحدى الشخصيات الأبرز في الرواية: «إنني أرى رجالاً يمتصون عروق ثروات هذه الأرض وفي ذات الأوان يحاولون هدر ماء أصالة عروقها .لكنهم تناسوا أثناء عملهم أنهم وجدوا على هذه الأرض قبائل تعيش فيها منذ القدم، فلم يحاولوا فهم أعرافهم ولا مكانة ركابهم وطبيعتها، ولم يأبهوا بأهمية نقاء أراضيهم وهوائها . فالصحراء ليست يباباً كما تسمى، إنما هي الثراء المتخفي الذي لا يجاهر بنفسه إلا لمن يملكون الحكمة وعمق النظر، إنها لا تفشي أسرارها ولا تُظهر كنوزها إلا لمحبيها ذوي البصيرة ولأولئك الذين يستثمرون معطياتها لصالح معيتهم وتسهيلها.

والإبل التي ماتت واقفة متسمرة في بقع الطين التي خلفتها عمليات التنقيب، تعشق أوطانها ولا تخطئ طريقها، ولا يمكن أن تنساه مهما تباعدت، والوفاء تجيده النياق وتتفوق به على كل الكائنات .

الألفاظ المحلية المحكية، تغدق الروائية بها علينا وتتنبه لضرورة شرحها وتفسير معناها كأنها تشير لنا إلى حجم التغيير الذي طرأ على كل شيء ووصل المفردة وطرق التواصل، كما وتستذكر عادات البدو وشيمهم المتأصلة في الكرم الباذخ رغم أنهم لا يملكون ما يسد به الرمق، غم ذلك يؤثرون على أنفسهم، إلا أنهم لم

يستسيغوا وجود غرباء تستبيح أراضيهم وتعبث بطبيعة صحراءهم .الإنكليز الذين غيّروا ملامح الأرض وحولوها إلى أرض تأكل أبناءها بعدما كانت أماً رؤوماً بهم، عندما تركوا وراءهم مخلفات عمليات التنقيب التي تحوّلت إلى بقاع من طين واسمنت ابتلعت البشر وقتلت الإبل واقفة. مقدرة البدوي على تسهيل عمليات التنقب ورسم الخرائط وتتبع الأثر، إلا أنهم لم يتعاملوا معه على أنه شريك في العمل وصاحب حق وثروة وأرض بل أجير بأبخس مردود ومعاملة مهينة، بعد أن أذلته الحاجة وما أصاب البلاد والعباد من قحط بعد شح تجارة اللؤلؤ.

استخدم الإنكليز العمال والذين هم أبناء العشائر في ظروف عمل قاسية يجهلونها تماماً مع فقدان الرعاية الصحية والإسعافات الأولية للحالات الطارئة وتغذية متدنية جدا في حين أن طعام الانكليز كان يأتي في الطائرات إلا أن طعام العمال اقتصر على الأرز والعدس. لم يكن رفض العمال لهذا الوضع بالشكل المرضي حتى وصل إليهم الصندوق الحديدي الناطق (الراديو) لتصبح الصورة لديهم أكثر وضوحاً فيما يتعلق بالوجود الإنكليزي في البلاد ومناطق النزاع وترسيم الحدود وفصل أو ضمّ الأراضي، حيث أدرك العمال من خلال سماعهم صوت العرب الذي يُبث من القاهرة مفهوم الوحدة العربية والأفكار الثورية المناهضة للاستعمار وأن هناك مناضلين في فلسطين وأنحاء الوطن العربي يجاهدون ضد الاستعمار.

لقد كان للإذاعات العربية وخصوصاً «صوت العرب» دور كبير في التنوير وإيضاح دور بريطانيا في استخدام القوة لتحقيق أهداف بريطانيا أكثر من دورها في الحفاظ على أمن الإمارات المتصالحة والنزاعات على المناطق الحدودية ما هي إلا نزاعات بين شركات النفط البريطانية والأمريكية للاستيلاء عل أكبر قدر من المخزون الهائل من النفط والغاز اللذين تحتويهما المنطقة .بدأ الوعي يدبّ في العقول، بدأ العمال في المطالبة بحقوقهم بفعل إضرابات حقيقية مطالبين بضرورة تغيير أسلوب التعامل معهم والعمل على تحسين مستوى معيشتهم .حيث أن الإذاعات العربية تعمل جاهدة على تحريضهم وتوعيتهم بحقوقهم في ثرواتهم المرتقبة.

(الحُرة) ... الشخصية الأبرز للمرأة البدوية في العمل الروائي .(الحُرة) التي فقدت والديها، تربت في كنف جدها الذي أعدّها لما تكون هي عليه، فهي وريثة لعمته اليازية الكبيرة في اسمها وحكمتها وقوة شخصيتها و "فزعاتها". (الحُرة) آمنت أن الأحرار هم السادة، فاستعلت على الحاجات والشهوات وبنت مجدها بانعتاق نفسها من كل ما يكبل شيم أصالتها، مما حدا بأبناء عشيرتها بمناداتها بلقب (الحُرة) الذي غلب على اسمها وشاع بين القبائل فكانت أختاً لكل من قام بعمل نبيل .ورغم جسارة وشجاعة (الحُرة) فإن هناك شيئاً ليس بضئيل أبداً يبث الرعب في قلبها ويجعلها تجفل وتولي هاربة، تعيشه بينها وبين خفقات فؤادها، إلا انها تزجره وتلبسه لجاماً وقيداً ألبسه لها قومها، فلا يمكن أن تصدق هي ولا الآخرون بأنها قد ترتكب ما هو معاب أو يحيد عن العرف والعادات والتقاليد، إلا أن الأنثى تبقى أنثى في قلبها المحب، مهما بلغت الأحزمة التي تتمنطق بها، تقع (الحُرة) في متاهة العشق بين (بن ديانة الحمر) وهزاع ابن عشيرتها

(ابن ديانة) الذي اختار النغم بعزفه على آلة الهرومونيكا ليبوح لها بمشاعره. اختاره ليكون ذراعيه الذي يراقصها به، اختاره ليكون كفه التي تشتهي ملامسة واحدة لروايبها العنابية، اختاره لتبقى أهداب عينيها المنتسبة للظباء استراحته، اختاره ليختصر المسافة بين الخال والشفاه فيبلغ سدرة منتهاه.

(هزاع) ابن العشيرة الذي آثر الابتعاد والترحال للهروب من عشقها ، الصمت وكتمان حبه حتى يحين الأوان له .تدور الأحداث وتتعاقب السنون، إلا أن الغريب يرحل والأصيل باق .وبينما تجلس في خلوتها أعلى كثبان الرمل، يجيء صوت جدها (مبارك بالمجادي) عميقاً بعمق الغيب قائلاً: إنني أكاد أرى ذاك الثراء كيف سيطلق عنان الشهوات وكم أخشى أن تنهار أمام صهيلها وعذوها القيم والأعراف والعادات لتأخذنا إلى حيث لا نكون ولا نعرف.

لا يخفى على القارئ أن هذا العمل الروائي إذا أرنا تصنيفه على أنه من أدب الصحراء سيكون جديراً بذلك، لما ضمّ بين جنباته تفاصيل حياة البدواة الأولى، صفات الشخصيات وطرق تعاملهم وتفكيرهم، ثباتهم على العادات والتقاليد المتوارثة، انتماءهم للأرض ومكوناتها، فهمهم لطبيعة الصحراء وتعايشهم مع تقلباتها، لكنه هنا يندرج أيضاً في قالب مسماه أنه كشف "خفايا اللال" السراب وجاء تقريرياً، توثيقياً، التكرار في سرد الوقائع جاء للتوكيد أم للاستفاضة؟

تناثر السرد الروائي الشائق، وتقطعه بين صفحات العمل، ورغم قلته إلاانه جاء ليكسر حالة التوثيقيةا لتقريرية في القراءة.

عشبة ومطر

بعد روايتيها السابقتيين اللتين تمحورتا حول الحياة البدائية التي كان يعيشها سكان الإمارات، قبل اكتشاف النفط وبعده، تفاجؤنا الروائية بمناخ مختلف تماماً في روايتها الأخيرة (عشبة ومطر)، حيث تنتقل إلى الحياة المعاصرة لتشهد على التغيير الذي حصل في كافة المجالات، الاجتماعية، الاقتصادية، الحياتية، والأهم ما حصل عند الكثيرين الذين أصبحوا خاضعين للاستهلاك بشكل كبير.

تدور أحداث الرواية بين ثلاث شخصيات رئيسية: عشبة، مطر، وتيريزا من خلال ما تبوح به كل شخصية على حدة، تشتبك مجريات الرواية ببعضها لتتضح معالمها وما بينهما من حيوات وأفكار حتى تؤدي الرواية غرضها في إيصال رسالتها للقارئ.

عشبة

والتي أطلقتُ عليها بدوري اسم (الأرض) بمعناها الواسع، الحاضنة للجذور، المتمسكة بأصولها وقيمها الراسخة، السيدة الرصينة، المتعلمة، المثقفة، المتقدة ذكاءً وحكمة. صاحبة العقل المتزن، الراجح. تفرق بين الغثّ والسمين، التي لم تجرّها ثروتها الكبيرة إلى عالم الاستهلاك والتقليد الأعمى، التي كلما سمعت أصوات الأحفاد بألسنتهم الملتوية إلى الانجليزية وجهلهم بلغتهم الأم، يصيبها الغثيان.

تقول عشبة عن سبب انعزالها وإنطوائها: (نعم إنها عزلتي الاختيارية المتزامنة مع عزلتي القسرية، وإذا أردت مزيداً من الدقة، فالأصح أنني منسحبة من مجتمعي، حتى لا أتلوث بوحل الطفرات الاجتماعية التي خلخلت بنية مجتمعنا، فكلما ولدت طفرة مفاجئة باعدتني سبعين ذراعاً، فكيف يريدون من الاقتراب ونبذ الانزواء وكل الوجوه التي أعرف أصبحت مسطحة بلا ملامح أطوف بينها، أفتش عن قسماتها، التي مسختها المباضع والإبر، ولا أرى سوى تورمات مقززة، فقدت جمالية تطور العمر وانعكاسه. كيف لا يريدونني أن أنزوي، وكل ذلك يثير مراراً بحلقي كرهت طعمه، وكرهت استهانتهم بعقلي، كرهت العلاقات المبنية على المصالح التي حلّت محل المحبة، كرهت كل زيف وتقززت من كل تملق مبني على المادة).

عشبة التي يحفر في قلبها فخر انتماءها للعروبة، صمتها وحزنها على ما آلت إليه بلدان الوطن العربي. عشبة التي أحبّت اقتناء الشالات النادرة الرهيفة المشغولة بأمهر الأيدي، تعيش على الذكريات وصوت الإيمان الراسخ بكل ما قامت به وتسعى إليه من محاولات للمحافظة على لغتها وعقيدتها والاحتفاظ بموروثها حتى تعالى ذاك الصوت فوق احتمالها فقتلها.

ماء السماء

الابن الذي شب على يدي تلك العشبة، والتي أرضعته تلافيف أفكارها، فكان الابن الفخر لها. مطر المهتم بالآثار كقيمة حضارية عتيقة، يجوب بقاع العالم باحثاً عنها. يؤكد من خلال بحثه الدؤوب ما فعلته الحروب من طمس لتلك الحضارات وسرقة آثارها مّزيّنة بها المتاحف العالمية للآثار. يقوده شغفه بها إلى الحب الذي يشبهه ليجده بين دفات آثار عتيقة لسيدة مجهولة، يبحث عنها كما يبحث عن قطعة نادرة، يسافر البلدان باحثاً عنها. وتكون قطعة (الخلال) حجر الملتقى بينهما.

تريزا

السيدة المساعدة في بيت مطر، التي وجدت إنسانيتها بينهم ، فكانت واحدة من العائلة بعد أن خذلها نكران عائلتها الأصلية لها. تريزا التي تثقفت على يد العشبة، تقوت بهم ،شدت أزر روحها بعد أن باغتها قلبها في شخص كشف لها عن نواياه (أطماع الأيدي العاملة) في التوسع والامتداد والمطالبة بالشراكة والتملك والاحتكار في كل شيء مع أبناء الوطن.

«ثلاثيّة غرناطة» بين الماضي الأندلسي والحاضر الفلسطيني

حميد الملا

رضوى عاشور في هذه الرواية تأخذك إلى الماضي البعيد، إلى ما يزيد عن الخمسمئة وثلاثين عاماً، ماض سحيق ولكنه لذيذ، مُهيب ومُحزن ولا شك من إنه مجيد لكون المسلمين قد بنوا وأسسوا وعملوا وأنتجوا من الثقافة والأدب والعلم ما استفادت منه البشرية جمعاء فبقت آثارهم العلمية والفنية شاخصة حتى يومنا هذا.

أقرأها لأول مرة فأحتبس صابراً لإنجاز قدر أكبر ومجهود بالغ لمعرفة خبايا هذا الجهد المهول من المعلومات التي أتت بها الكاتبة لإتحافنا بهذه الرائعة الجمالية من السرد التاريخي والفني والعلمي، الغني جداً بالمدلولات اللغوية وبأسلوب رائع وجميل ومبهر ومعبر. وعندما أقول بأنها تحفة فنية فإن ذلك ينبع من المهارة في فنون السرد، خلق عالم بعيد تقرّبه إلى القارئ ما أمكن، فيعيش الحالة وكأنما هي الحياة تدور وتدور بنا منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا في أحداث اليوم وقضية اليوم غزّة وفلسطين، فما أشبه اليوم بالبارحة.

إنه التاريخ، فالأمر دائماً يتعلق بالتاريخ، كما تقول رضوى، فغرناطة وأهلها وعلاقة العرب بها وبهم هو تاريخ وإن مضى وانقضى، لكن تبقى رائحة الزمان والمكان باقية حيّة نتنسم عبير تلك الفترة لنبني عليه ونتعلم منه الدروس ومع ذلك لا نتعلم، نحن لا نتعلم شيئاً مهماً من الدروس أبداً في هذه الحياة، انّما نتذكّر ليس الاّ. وأي دروس والعرب والمسلمون في تطاحن وأقرب إلى العدو منهم إلى بعضهم البعض، وما فلسطين الاّ شاهدة وشهيدة على كل ذلك!

تقول رضوى عاشور «خلق زمان مزدوج يتيح لنا معايشة الحاضر والماضي ومخاوف الحقبتين "فأي من الحقبتين نعيش نحن؟ ألم نعش في هذا الزمن وذاك، حقبة واحدة ونحن نرى بأم أعيينا ما يحدث من قتل وتعذيب وتشريد ودمار وكأنه الطوفان سلّطه الله علينا بلا نوح ولا سفينة: (التشتيت الجماعي لأهالي غرناطة ثم الترحيل النهائي لعرب الأندلس)، (التشتيت الجماعي لأهالي فلسطين والترحيل النهائي للعرب)، فما الفرق بين الأمس واليوم بين ما حدث في غرناطة والأندلس وما يحدث اليوم في غزة وفلسطين؟ أليس الفعل واحداً، والفاعلون وإن تغيّرت الأسماء هم أنفسهم رغم البعد الزمني والحُقب المتباعدة والواقع المتغير بين كل تلك الأزمنة والأمكنة. تقول رضوى: «تبدو المصائب كبيرة تقبض الروح، ثم يأتي ما هو أعتى وأشد فيصغر ما بدا كبيراً وينكمش متقلصاً في زاوية من القلب والحشا ".

لو بقت رضوى على قيد الحياة إلى يومنا هذا لرأت من المصائب ما هو أعتى وأشدّ وأنكى فيصغر ويصغر ويصغر ما بدا في تلك الحقبة وقد تُغيّر رأيها وتضيف إلى روايتها نكبة جديدة أشد وأقسى وأدهى وأمرّ.

فنحن الآن في أم الكبائر، في مهزلة العقل البشري، بل في مرحلة الجنون البشري، وغزّة الجريحة شاهدة على ما نقول، فالعالم يقف متربصاً بهم متفرجاً عليهم وهم يُذبحون ولا ناصر أو مُعين، فأي عالم هذا وأي إنسانية بقت بعد كل هذه المذابح. إذن ذاك ماض

رضوى عاشور

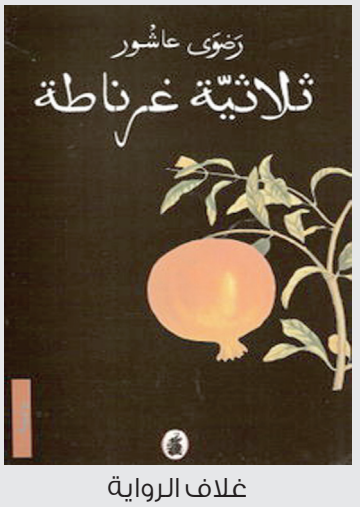

غلاف الرواية

وهذا حاضر. زمانان ولكن الفعل واحد والإجرام واحد والقاتل واحد والدسيسة واحدة، فما الذي تغير يا تُرى؟

ظلّ العرب والمسلمون في حالة المفعول بهم، منشغلين بما هو أهم: السلطة والسلطان وما أدراك ما السلطة وما أحلاه من سلطان. يرثي أبي إسحاق بالينسية (شرق أسبانيا) وكأنما يرثي غزة إذ يقول: «عاشت بساحتك الضبا يا دارُ/ ومحا محاسنك البلى والنار/ فإذا تردد في جنابِك ناظرُ/ طال اعتبارُ فيك واستعبارُ/ أرض تقاذفت الخطوب بأهلَها/ وتمخّضت بجانبها الأقدار/ كتبت يدُ الحدثان في عرصاتِها/ لا أنت أنت ولا الديار ديارُ».

رغم ذلك فإن رضوى تقول «التاريخ لا يعرف الخوف، إنه صاحب حيلة ودهاء، له مساربه وديناميسه ومجاريه، لا شيء يضيع، هكذا أعتقد». أتمنى أن ما تقوله صحيح، فالأندلس قد ضاعت وأراض أُخرى من المغرب وسوريا ولبنان وغيرها من الدول العربية، ونحن الآن بانتظار ما تسفر عنه الحرب على غزّة، فلا مريمة في رواية ثلاثيّة غرناطة عادت للحياة بعد أن أنهكها المرض وماتت في دروب الخروج الكبير من غرناطة والهرب من البطش لتموت بين يدي حفيدها علي ولا سليمة نجت من الموت على أيدي محاكم التفتيش في إسبانيا ولا علي نجا من التشريد والطرد من أرضه وأرض أجداده، تركوا أراضيهم وبيوتهم وحاجياتهم ورحلوا هائمين على وجوههم في ديار الله الواسعة».

واحسرتاه، أراض تضيع هناك وأراض تُفقد هُنا. ينسج محمود درويش في غرناطة وفلسطين نصه من خيوط الاقتلاع والفقد والحنين « إذ يقول: «في المساء الأخير على هذه الأرض نقطع أيامنا/ عن شجيراتنا، ونعدُّ الضلُوع التي سوف نحملُها معنا/ والضلُوع التي سوف نتركُها هاهُنا/ ... في المساء الأخير/ لا نُودع شيئاً».

نجحت الكاتبة رضوى عاشور في انتاج شكل روائي غير مسبوق في وصف مرحلة من مراحل التاريخ العربي من خلال التعرف على ملامح تفاصيل تلك الأمكنة وإيقاعات الحياة اليومية فيها، وأبرزت لنا ما حدث من حرق للكتب، ثورة البيازين الأولى والثانية، التشتيت الجماعي لأهالي غرناطة ثم الترحيل النهائي لعرب الأندلس.

برهنت (ثلاثيّة غرناطة) على براعة مؤلفتها في نسج حبكة جميلة غنية بالإثارة والتشويق، ممتعة بكل تفاصيلها ومن كل النواحي، جعلت من إرث المسلمين والعرب في غرناطة إرثاً عالمياً، يمكننا القول بأنها رواية فريدة من نوعها، يستحق منا التامل حول ما كان عليه العرب والمسلمون وما غدوا فيه من ذلّ وبلادة ومهانة واستسلام وخنوع أمام الأعداء، فليتفضل المهتمون بالأدب والتاريخ بقراءتها لما لها من أهمية في وقتنا الحاضر ولما لها من عبر للمستقبل.

السعداوي... سيرة الإنجاز بصمت

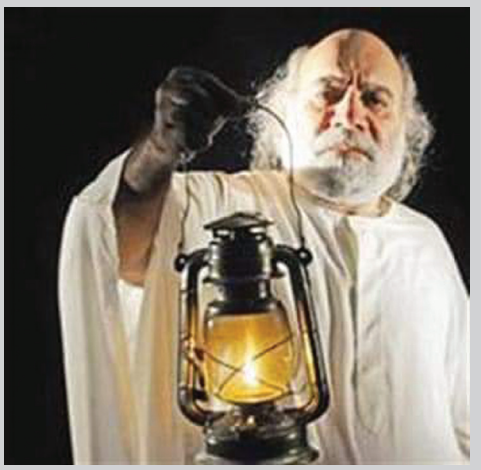

فُجع الوسط المسرحي العربي عموماً برحيل أحد أهمّ أعمدة وقامات المسرح في البحرين المسرحي عبدالله السعداوي، في 3 فبراير 2024، عن عمر ناهز الـ 76 عاماً، بعد مسيرة طويلة من الإبداع والتفرد.

السعداوي مخرج وممثل ومؤلف مسرحي، وناقد في مجال السينما والمسرح والأدب والقضايا الفكرية المتنوعة، ويعتبر من روّاد المسرح خليجياً في مجال الاهتمام بالفضاء المسرحي خارج إطار المسرح التقليدي (العلبة الإيطالية)، إذ قدّم فنه في القلاع والبيوت القديمة، وفي صالات العرض التشكيلية، كما جعل من أخرى متجوّلة تقدم في فضاءات مختلفة. والسعداوي أحد مؤسسي مسرح «السد» في دولة قطر، ومسرح «الشارقة الوطني» في دولة الإمارات.

حصل في العام 1994 على جائزة «أفضل إخراج» في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي عن مسرحية «الكمامة». كما شارك في مهرجانات عربية ودولية كثيرة، وتمّ تكريمه أيضاً في العام 2003 من قبل مهرجان الفرق الأهلية المسرحية لدول الخليج في أبوظبي تقديرا لجهوده الرائدة في صناعة وتطوّر الأداء المسرحي في منطقة الخليج.

من أشهر أعماله المسرحية «الصديقان» و«الجاثوم» و«الرهائن» و«رجال البحر» و«سكوريال» مع مسرح الصواري التي حظيت بالإشادة في مهرجان القاهرة الدولي في العام 1993 تلتها «الكمامة» ثم «القربان» في العام 1996 ثم «الطفل البريء» في العام 1998 و«الكارثة» في العام 2000 وأخيرا ثلاث مسرحيات قصيرة هي «ابني المتعصب» و«بورتريه» و«الحياة ليست جادة»، وأخيراً مسرحية «منزل فوق غيمة» في العام 2018.

السعداوي: حياة الظل خلف عظمة الانجاز

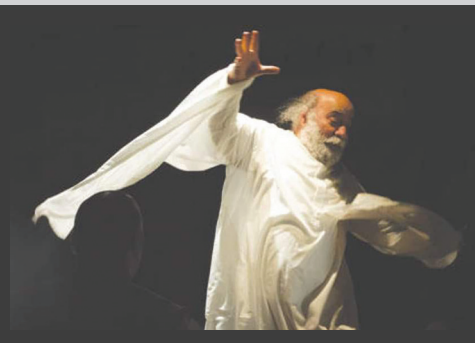

من بين الكثير من التفاصيل والقصص، فإن سيرة الفنان الراحل عبدالله السعداوي ترتبط بأمرين اثنين أساسيين: الأول هو مساهمته في تأسيس مسارح أهلية في البحرين ودول أخرى مثل قطر والامارات العربية المتحدة التي عمل وعاش فيهما فترة من الوقت. والثاني هو ان العديد من الفنانين من ممثلين ومخرجين ومصممي مناظر وديكور تتلمذوا على يديه. ماذا بقي إذاً لكي يشار الى سيرة فنان بارز في تاريخ المسرح في البحرين والخليج العربي؟

محمد فاضل العبيدلي

مع هذا، وخارج دائرة المسرحيين في البحرين والخليج، فإن احداً بالكاد يعرفه او يتذكر اسمه كاملاً. فهو ليس من ذلك النوع من الفنانين الذين يلاحقهم المصورون ولا من الذين يكثرون المقابلات الصحافية، بل ان شاء أحدنا استدعاء صورته، فان ذاكرتنا لن تجد الا صورة وحيدة تستدعيها يظهر فيها السعداوي بثوب أبيض حاسر الرأس دون غترة وعقال ولحية كثة اختلط سوادها ببياضها وصلعه لامعه تنتصف رأسه ونظرات من عين حادة النظرات. هكذا تضاف الى سيرته حقيقة أخرى: «التواضع».

مازلت اذكر تلك الأمسيات التي كنت أزوره فيها في مسرح الصواري وأجده منشغلاً بتدريب شبان صغار جاؤوا شغفاً وحباً في المسرح. كنت أجد صعوبة في كتم ضحكاتي عندما أرى كيف ان هذا الفنان الذي لم يتعب ولم يكل من الشغف بالمسرح، يدفع الشبان الى تمارين فيها من الغرابة ما يدفع للضحك، لكن المغزى كان أعمق: كان يمتحن صبرهم وحبهم للمسرح، هل هو حب وشغف حقيقي أم عابر، يغرس فيهم أولى متطلبات ان تكون ممثلا على خشبة المسرح ويستخرج الطاقات الكامنة فيهم. كانت أجواء الأمسية وامتحانات الشغف هذه تدفعني لسؤال ظل يتكرر على لساني: «من أين يأتي هؤلاء الغلمان قاصدين السعداوي؟».

ظل «الغلمان» يتوافدون على مسرح الصواري والمسارح الشقيقة الأخرى جيلاً وراء جيل وظل السعداوي يوالي ما كان يجيده أكثر من أي شيء آخر: التعليم والتدريب بصبر وأناة واثارة الأسئلة وتحريك كل ما هو راكد إن كان في نفوس تلاميذه أو في الوسط المسرحي والفني والثقافي.

هكذا، فإن تلك الحاضنة التي شكلها نادى مدينة عيسى في ثمانينيات القرن الماضي وقادها السعداوي، مثلت بداية توهج تجربة ستقود الى منعطف نوعي ومتميز في تاريخ المسرح البحريني عندما اثمرت تلك التجربة تياراً جديداً ضخ روحاً جديدة في المسرح البحريني وأعني تيار التجريب الذي دشنه مسرح الصواري. الأهم ان جيلاً جديداً من المسرحيين قد ولد وراح يكبر ويتوهج مع ملهمه الأول: عبدالله السعداوي.

فيما سيلي من الأيام، سيغدو بعض أولئك الشبان مخرجين في المسرح وفي السينما وآخرون نجوماً في التمثيل والسينوغرافيا.

من يحتاج للضجيج في الصحف والتلفزيونات والاعلام؟ لقد حسم السعداوي المفاضلة بين «الاستعراض» و«الفعالية» مبكراً عندما اختار الثانية فعمل بصمت وبدون ضجيج او تنظير زائد. الآن فقط تصيغ سيرة السعداوي نفسها أمامنا بعد كل هذه السنوات على هذا النحو: «تواضع في الحياة، عظمة في الإنجاز».

مكـــــان آخـــــر

حسين الحليبي

كانت السنة الأخيرة لنا انا ورفاقي في مسرح مركز سلمان الثقافي للاطفال عندما بلغت من العمر الثانية عشر، حينها تمّ ابلاغنا بأننا تجاوزنا السن القانوني المسموح به لعضوية المركز. اختلطت مشاعرنا بين الحزن والقلق وخيبة الأمل وبين الطموح والرغبة في البحث عن مسرح آخر يعيدنا لتلك المتعة التي كنا نعيشها، فقد أصبح المسرح جزءً منا يشكلنا ويبني ذاتنا. دعاني أحد الاصدقاء لحضور مسرحية «سكوريال»، ولأول مره أشاهد مسرحية تعرض خارج نطاق خشبة المسرح. انبهرت من العرض وأسلوبه وشكله، وكم كنت حينها أتمنى أن اكون واحداً من طاقم العمل.

في ذلك اليوم عرفت أستاذي ومعلمي عبدالله السعداوي، حينما دعاني لكي أكون تلميذاً من تلامذته ويأخذني لمكان آخر، مكان نرى الحياة ونشكّلها بطريقتنا من خلال مسرح السعداوي المجنون، وهي صفه اطلقها علينا الكثيرون، فما نقدّمه من أعمال غير تقليدية جعلت الكثيرون من المهتمين بالمسرح ينظرون لها بشيء من الاستغراب في بداية الأمر.

ومن هنا دفعنا السعداوي بجنونه المسرحي لكي نتمرد بشكل إيجابي على كل الثوابت ونخرج عن السرب ونكون كما ينبغي أن يكون مسرحنا، فنحن أمام مخاطبة عقل وليس عاطفة، أمام فكر وفلسفة. دفعنا السعداوي لكي نكون معه في هذا الجنون، وقد كان داعماً لكل التجارب الشبابية ومحفزاً لها وعنصراً هاماً في تشكيلها ونجاحها وتطورها.

شكرا لذلك الفنان الذي أسس فينا الانسانية ووجّهنا لطريق الإبداع والتميّز.

شكرا لك أستاذي ومعلمي عبدالله السعداوي

وفـــاء للسعـــداوي

محمد شاهين

«انت ولدنا»... بهذه العبارة كان لقائي الأول بالأستاذ عبد الله السعداوي في مقر جمعية المنبر التقدمي بمقرة القديم في الزنج. ولعله أصعب موقف أقع فيه حينما طُلب مني شهادة ليتم نشرها في «التقدمي»، عن الأب والمعلم الأستاذ عبد الله السعداوي–رحمه الله–لا أعلم من أين ابدأ ومن اي منظور وزاوية ممكن تناوله للحديث عن شخصية زئبقية كالسعداوي. رغم المدة الزمنية القصير / الكبيرة لمعرفتي به، إلا انه من الصعب جداً تحديد منظور واحد عن السعداوي، هو المسرحي، وهو الإنسان، وهو الدرويش، وهو الناسك.

وبالرغم من انتقال مسرح الصواري إلى مقر جديد غير ذلك المكان الذي ألفه السعداوي لسنوات طويلة، إلا إنني لا زلت أراه في زوايا المقر، لا زلت ارى كومة الحب الشمسي –بذور عباد الشمس– بين رجليه وعلى الطاولة وبين كتبه المرمية على الطاولة وعلامة الأكس بخط كبير بين أوراقها ليعطي اشاره من انتهاء قراءة هذه الصفحة، وصوت التلفزيون بين الأفلام فريد شوقي وهو يكرر كلمه «شوفه... ضربه» وعلى أغاني الزمن الجميل وتحديداً لشاديه وعوض الدوخي، وصوت قناة اليوتيوب التي سببت لي أزمة مع السعداوي بعد نقاش كبير حول برامج المناظرات بين الأديان، كل هذه الأشياء لا أزال اراها أمامي رغم تغيير المكان.

علي وقع الرحيل، وأثر الفراق، اخترت بأن أكتب لك كلمة وفاء لا رثاء، فالرثاء يكون للأموات فقط، وأنا أراك حياً بذكراك العطرة فينا رغم رحيلك، لكن الوفاء يليق بك أكثر، فكيف لا أكون وفياً لمن كان معلمي وأستاذي وأبي الثاني، منذ أن وطأة قدمي للمرة الاولى مسرح الصواري، وانت سند وظهر لي في جميع الاوقات.

السعداوي عندما لا يذهب الى البروفة وحده

خالد الرويعي

الفنان البحريني عبدالله السعداوي ليس مخرجاً فقط، إنه معلم حتماً. هذا هو دأب السعداوي، إنه ليس مخرجاً عادياً، إنه استثناء، يذهب إلى المسرح باعتباره فعلاً إنسانياً وحياتياً، العلاقة الانسانية في المسرح هي من جعلته استثنائياً، العرض ليس مهماً بقدر أهمية ما يكتسبه الفريق من المعنى الأسمى للمسرح. في البروفة أنت لا تنجرف إلى العرض بل تنجرف إلى الحياة، معه تستطيع أن تولد من جديد لأنه حاد الأفق، أقول حاداً وليس واسعاً لأن كمية المعرفة ليست في شموليتها بقدر تأثيرها على الأشخاص العاملين معه.. المسرح معه مختلف ولذلك أجد أن أعمالي التمثيلية نادرة جداً مع غيره. عندما أعمل كممثل أو كمخرج معه ثمّة لعب أدوار شهي نتقاذف فيه ذواتنا ببهجة.. السعداوي جزء أصيل من تجربتي في المسرح.

جزء كبير من الذين شاهدوا وعملوا مع السعداوي استوعبوا المنتج ولم يستوعبوا تاريخه، وهذا الكلام لا يقال في حالة إبداعية بين مرسل ومتلق، بل يقال كل ذلك عندما نستعرض حالة بمجملها، قليلون هم الذين كتبوا عن ذلك.

السعداوي بوفاته هذا العام 2024 قد بلغ أربعين عاماً بعمله مع الشباب منذ 1984، وكأنه بلغ سنّ النبوة وأدى الأمانة وذلك بتأسيس قاعدة استثنائية في تاريخ المسرح العربي الذي أرسى نموذجاً حياً للتعاطي مع المسرح بالإضافة إلى مساهمته الرئيسية والإستثنائية في خلق صفوف أخرى للمسرح في البحرين.

مضت سنوات طويلة والسعداوي ما زال يحفر ويبحث وكأن العالم سيقف إن توقفّ عن ذلك كله. شغوف بالمعرفة حد التماهي وباحث في موازيين الريح التي تشبه حالة الجنون.

ترى ما هو الجنون؟

إنه خارج الرتابة وخارج الحدود التي وضعتها البشرية وخارج النسق والنظم.. أليس هذا هو المسرح نفسه.

لا يتعامل السعداوي مع المسرح باعتباره طبيعة ثابتة كما نُظّر وكُتب عنها، بل يذهب بعيداً جداً، فهو الساحر الذي يُخيّب دائما توقعات جمهوره وهو صاحب الشعرات البيض التي كتب عليها كل معرفة تزوّد بها أو قرأها.

في البروفة لا يأتي السعداوي وحده.. لا يأتي بالزمان والمكان نفسه.. ففي كل يوم هناك سعداوي آخر ومكان وزمان آخر.. هناك مسرح متفرد يعيش في تفاصيل حياته.. مسرح يستند على المعرفة وينقضها في آن. لا يسكن مع الأمل ولا يحتفي باليأس، تلك الأمثال النمطية التي وجدت لاستعباد البشر لا تروق له، ينحت من الزمن ثوبه الخاص ولا يطمئن إلى العرض.. ففي العرض يموت عنده كل شيء.. إنها كعكة الميلاد التي لا يحب أن يطفئها.

* كتبت هذه الشهادة قبل ٤ سنوات.

عندما صمت عبدالله السعداوي

حسين عبدعلي

ما بَكتْ عيني يومًا مثلما بكتْ يوم رحيلك، حتى خُيّل إلي أنّ بياضهما سيسيل كلّه في يدي. أمسحهما بمنديل الذكريات، فتنهمر أمامي اللحظات التي تقاسمناها. كلّ لحظة تجرّ أختها، منذ لقائنا الأول، لغاية الكلمات الأخيرة التي همستها في أذنك اليسرى، قُبيل مغادرتك المسرح يوم زيارتك الأخيرة. قبّلتُ بياض جبينك وقلتُ: "ترى أحبك أستاذ.. أحبك واجد". وها أنا أنفضُ سجادةَ ندمي لأنني لم أذّيل كلامي –لحظتها– بطلب بسيط: أن تسامحني.

أكتبُ الآن، ولا نيةَ لي في رثائك –آه ما أوجعها من كلمة–. فأنا أصغر وأجبن من تعداد خصالك والتفجع عليك. لكنني أحاول أن أجاور الكلمة الكلمة فأصنع منها سُلّمًا، أقفز منهُ فوق سور اليُتم. وليس في هذا اليتم شيءٌ من المجاز أو التشبيه يا أبتي. صحيحٌ أنّك لم تنجب أطفالًا، لكنّك جعلتنا جميعًا أبناءك ومريديك. واليوم أصبحنا يتاماك. علّمتنا كل الأشياء، ونسيت أن تعلّمنا كيف نتّقي نصل رحيلك، أو كيف نداوي نزف فقدك. أخذت بيدنا نحو كل الدروب، وتركتنا وحدنا في أوّل درب الحنين إليك، ولعمري إنّهُ دربٌ طويلٌ مضن.

أكتبُ الآن، وأمسحُ أكثر مما أكتب، لأنني أشعر بالتيه. كلّما أشعلتُ قَنديلًا يُبدّد دُجنة رحيلك، أطفأته لعنة الغياب. كلّما عضضت بنواجذي على أمل رؤيتك مجددًا، تسرّب من بين أصابعي كالماء. مُكرهًا أحملق في صورتك وراء كومة الكتب، فيك جالسًا على الكنبة في صالة المقر، في كأس قهوة نسيتَه على الطاولة، في قشور الحب والمكسرات، في نبوة عينيك كلما دخلتُ المسرح وصرختُ: "هلا أستاذ"، في براءة وجهك الطفولي وبياض لحيتك، في شفتيك وأنت تقول: "ياله شباب.. بروفة بروفة"، في حوار مُعلّق ونقاش مؤجل لن يأتي، في لحاف تفرشه الأرض وتنام، في ستارة تنتظرك أن تفُتحها، في كتابٍ تهديني إيّاه، في اتصال يحمل سؤالك الدائم: "وينك حسين؟ مُر أبوي مُر". ولا طاقة لي ولا احتمال على كل ما سبق.

أكتبُ الآن، لأني لا أعرف أي نافذة ستفتحها لتصرخ في وجه هذا العالم: "بالمشمش". ولا أي نص مجنون يشبهك تشتغل عليه. هل سيرافق تجربتك القادمة منير سيف؟ هل سيكون نصًا لفريد رمضان؟ هل سيكتب عنه الدكتور إبراهيم غلوم؟ هل سيكون علي الشيراوي حاضرًا؟ هل سيمثل فيه إبراهيم بحر وعلي غرير وعبدالله وليد؟ وهل سيتحمل الأستاذ حمزة محمد إدارة انتاجه؟ ماذا عن سالم سلطان ومحمد عوّاد؟

أكتبُ لأنني لستُ بخير وحزينٌ جدًا.

السعداوي وهو يفكك مشهد الخاتمة

محمد الصفار

باسطاً كتاباً أمامه وكأنما يُهدّئ من روعه، وفي طرف كوب شاي وبين أصابعه سيجارة، هكذا وجدته وهكذا تكررت صُورته عندما كنا نرتاد مقرّ الصواري أول عهدنا.

تراه إما معالجاً لكتاب أو يقوم بجراحة لأوراق مبعثرة، بعد حين، وبعد صمت، يمد إليك رزمة: «فضّل!» – وهي تحوير لكلمة تفضل فاللغة عند السعداوي كالسينوغرافيا.

تقرأ وتتجاوز، لأن كثيراً مما كتب لم يُفهم – هو يعلم – وبعد ذلك: «ها بوي! شلون؟» الآن، يبدأ المشهد بالتشكّل.

تناقشت كثيراً معه، كنت كمن يسير في فلاة لا حدود لها، كان محرّضاً فكرياً من الطراز الأوّل، ومستفزّاً لقناعاتك ومسلّماتك وبديهياتك بلا نظير. لا نقاش يسير بهدوء مع السعداوي، وفي نهاية الأمر تخرج بمحصّلة مفادها بأن الدرس كان على وشك البدء ولكن الوقت قد تعب.

عملت معه في معظم أعماله للصواري، وتنقّلت بين صفوف محاربيه في معركة العرض، يوماً في المقدّمة ويوماً في القلب وأحياناً مراسل الكتيبة لا أكثر، ولم يكن ذلك مهماً أبداً، فالنتيجة النهائية هي الفتح المسرحي الذي سيحصل على أيدينا مهما جفّت الحناجر وسال العرق، وأحياناً بعض الدماء أيضاً.

من الموجع أن ترى السعداوي يتحضّر للرحيل!

قبل زيارته الأخيرة لمحرابه المسرحي – الصواري – كنت أستشعر اعتزامه التخلّي عن الفضاء الأرضي والسفر بعيداً في ما وراء الوجود والامتداد الكوني.

بطبيعته، كان معانداً يرفض التسليم والاستسلام، وكأني أسمعه: «لا أنحني لجبروت المرض!» لكن المرض له شياطينه السبعين، ومتاهاته الألف، وكانت الحرب دون كيشوتيه في معالمها، فالطواحين بعيدة والفرس منهكة والضباب يفرض العتمة على المشهد.

في تلك الزيارة بدا وكأنه مقاتل قد تلقي طعنة غادرة في الخاصرة، لا افتكاك منها، النهاية محتومة، ومشهد الخشبة العالية يتشكّل في مخيّلتي، ويا للأسف، صار واقعاً، ورفعناه على الخشبة، ولكنها ليست كتلك الخشبة التي خلق عليها عالماً سحرياً، بل خشبة كسكة حديد يمر عليها قطار الوداع.

وداعاً أيها المحارب العنيد.

الفردان: علّمنا السعداوي كيف نكون إنسانيين

أحمد الفردان

قال المخرج أحمد الفردان في حديثه عن الفقيد عبدالله السعداوي بأنه: «العين التي رأى فيها المسرح والفن، وهو الذي أرشده للطريق»، مشيراً إلى أنه: «كان مدرسة في الفن وكان مرشداً وموجه في كيفية ان نكون بشراً وانسانيين».

وواصل الفردان حديث ذكرياته مع الفقيد حيث قال:» في أحد الأيام في مسرح الصواري القديم، كان يجلس دائماً في المكتبة، ودائماً ما يعطيني كتاباً أو يشاركني مقالة كتبها مؤخراً، وهو أمر يفعله مع الجميع، مع العلم بأنني كنت صغيراً وكانت غالباً تلك الكتابات كبيرة جداً وعميقة على من هم في عمري»، وتابع: «وقصده من ذلك حثّنا على التفكير والبحث والقراءة».

وأضاف: «في إحدى جلساته مع حسين الرفاعي ومحمد رضوان كانوا يتناولون أطراف الحديث في مواضيع كثيرة ومتعددة في الفن والسياسة والفلسفة والثقافة وبعضها مواضيع لا افهمها، في أحد الأيام قلت لهم بأنني تعبت من الاستماع وعدم المشاركة في الحديث وتمنيت لو كنت مشاركاً معهم، حينها رد السعداوي بكلمات مهمة لن أنساها فيها من الحكمة الكثير حيث أكد لي بأنني سأتكلم وسيكون لي رأي، بما معناه سيأتي يوم يكون لك صوت وشخصية، والآن هي فترة تشكّل هذه الشخصية من خلال الانصات والاستماع». وقال الفردان بأن: «ما قدّمه السعداوي لنا جعلنا مرئيين وذوي خط واضح للجميع، والمعرفة والفن الذي قدّمه لنا السعداوي لا يمكن لأي شخص آخر أن يقدمه».

هل مات السعداوي أم قُتل؟

« فيلم روائي طويل جداً جداً جداً»

حسين العريبي

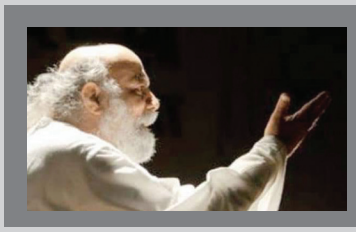

المشهد قبل الأخير / المقبرة

في المشهد: مصطفى رشيد، محمد رضوان، حسين الرفاعي، جمعان الرويعي. «الرعيل الأول» لقد سجي السعداوي تواً لمثواه الأخير، وبعد مراسم الدفن وقف الأربعة متقابلين على شكل هندسي معين، نظروا إلى بعضهم شهقوا شهقة طويلة وقعت أعين كل منهم على الآخر وكأن في الصمت زمن يربو إلى الأربعين عاماً. المشهد صامت لكنه مشبع بالمعاني، نظروا إلى بعضهم في صمت يفوق كل الكلمات إن الجملة التي لم تقال: أهذا كل شيء؟!

المشهد الأول / شارع داخلي في منطقة الرفاع

في مرحلة ما من مراحل الستينات المأثورة كان السعداوي ومجموعة من رفاقه يؤسسون لحراك ثقافي ومسرحي في نادي الرفاع. هي محاولات طريّة لم ترصصها بعض سنوات التجربة، وفي خضم هذا الحراك العام الذي يبدو انه كان محفوفاً بالتمرد قاد السعداوي مظاهرة في أحد شوارع الرفاع مطالبة ببناء «مسبح» في الرفاع. هذه الحادثة هي ما شكلت لاحقاً مسيرة السعداوي الظاهرة الاستثنائية التي يحتفي بها في هذا العدد من شهرية «التقدمي» لقد أدت تلك المظاهرة إلى تصاعد لم يكن محسوباً نتج عنه مغادرة السعداوي للبلاد لتبدأ بعد ذلك حقبة جديدة من حياة السعداوي الغنية بالتجارب.

المشهد الثالث / التنقل بين الدوحة والشارقة

ركب السعداوي السلم الأخير في سلالم الطائرة المتجهة من مطار البحرين في المحرق إلى مطار الدوحة، وفي العتبة الأخيرة التفت السعداوي التفاتة أخيرة إلى سماء البحرين قبل أن تقلع الطائرة إلى رحلة مجهولة لم يكتب المشهد الأخير منها بعد.

في تاريخ قريب من سنة 1970 سافر السعداوي إلى الدوحة ليؤسس مسرح السد مع الفنان القطري غانم السليطي، والفنان البحريني مبارك خميس، والفنانة البحرينية مريم الراشد. بعد ذلك انتقل إلى الشارقة في العام 1975 ليؤسس مسرح الشارقة مع الفنانين عبدالله المناعي، ومحمد عبدالرحمن، وعلي خميس. هناك أرادت الحياة أن ترسم للسعداوي مساراً مختلفاً. هناك تشكلت بذور – السعداوي الظاهرة –، تعرّف السعداوي بالمخرج الكويتي صقر الرشود، والمخرجين العراقيين عوني كرومي وإبراهيم جلال، حيث فتحت له تجربته معهم بعداً فلسفياً للمسرح يتجاوز التطهير والتسلية، ليصل إلى فضاءات أوسع تحمل في طياتها أبعاداً فلسفية لا متناهية، من خلال هذين المخرجين تعرّف السعداوي بنوابغ القرن العشرين أمثال: ستانسلافسكي، وغرتفوسكي، ومايرخولد، وبريخت. من هناك بدأ شغف السعداوي بالبحث والتجريب.

المشهد الرابع / العودة

في شارع داخلي من شوارع أحياء مدينة عيسى القديمة تلاقت إرادة السعداوي بإرادة مجموعة من المجاميع الشابة الذين وجدوا في نادي مدينة عيسى ملاذاً لهم في ظل احتكار الحركة المسرحية من قبل المسارح الأهلية التقليدية وبشخوصها المحتكرة للحركة المسرحية.

في العام 1986 وبعد عامين من عودته إلى البحرين، تشكّلت نواة مختبر عبدالله السعداوي المسرحي، هناك بدأ السعداوي ينسج خيوط قوقعته أو لنقل فرقته الناسكة. اجتمعت إرادة السعداوي بفضول مجموعة من الفتية والشباب الذين فتحوا صدورهم العارية للسعداوي يدعمهم العضو الإداري النافذ في نادي مدينة عيسى أحمد جاسم. في نادي مدينة عيسى آمن الجميع بالسعداوي تركوه يحلق بهم إلى فضاء واسع، إلى تجربة مختلفة تشبه في ملامحها بيئة الفرق المسرحية المحترفة حيث خصصت كل يوم ساعات طوال للمشاهدة، والنقاش، والقراءة، والتدريبات والتأمل. تلك التجربة هي ما أفرزت أسماء كان لها باعها الطويل في الحركة المسرحية بعد ذلك أمثال: محمد رضوان، مصطفى رشيد، حسين الرفاعي، جمعان الرويعي، سلمان العريبي، حسن منصور، وآخرين. هناك توّج السعداوي أهم مراحل تجربته وأخرج مجموعة من أروع أعماله: «الرجال والبحر»، «الصديقان»، «الجاثوم»، «الرهائن». كان كل ذلك يتم وسط تهكم وسخرية وتشكك العديد من الشخصيات البارزة في الحركة المسرحية البحرينية.

المشهد الخامس/ الجائزة

في العام 1991، شارك السعداوي رفيقيه إبراهيم خلفان ويوسف الحمدان في تأسيس مسرح الصواري. ليصبح السعداوي أباً روحياً وملهماً لثالث فرقة أهلية مسرحية تتأسس في البحرين. قرر مسرح الصواري رسم هوية واضحة منذ تأسيسه بتبنيه المسار التجريبي والمعاصر. كان السعداوي ورفاقه يسلكون دربهم والتهكم والتشكيك في تجربتهم ما يزال مستمراً، حتى ان هنالك من قال إن السعداوي يخترع أسماء من خياله ويضع في نهايتها حروف «سكي» وهو تندر ينم عن جهل باستشهاد السعداوي أثناء نقاشه وتحليله بنهجي ستانسلافسكي وغرتفوسكي المسرحيين.

من أعاد للسعداوي اعتباره؟

لم يعد للسعداوي اعتباره جهة رسمية أو أهلية، بل جهة لا تمت للبحرين بصلة في واقع الأمر. كان ذلك عندما حصد عبدالله السعداوي جائزة أفضل إخراج في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي ليكون أول مخرج عربي ينال هذه الجائزة وسط منافسة مئات الفرق والتجارب المسرحية المتطورة من شرق العالم وغربه.

المشهد السادس/ اليأس

بعد أن اكتسبت عروض السعداوي وفرقة مسرح الصواري سمعة عالمية، شهد النصف الثاني من التسعينات حالة من التقهقر والتراجع. تزامن ذلك مع تنامي الإنتاج الدرامي التلفزيوني الذي جعل العديد من كوادر مسرح الصواري تنصرف إلى التلفزيون لا من باب الشهرة كما قد يفهم من هذه السطور وإنما طلباً للرزق حيث كان العمل في المسارح الأهلية وما زال تطوعياً وبدون أجر. وفي حين يأس العديدون في ظل منظومة رسمية قاتلة للمسرح والإبداع، كان السعداوي وحده مرابطاً في مكانه متمسكاً بأحلامه، قارئاً، وكاتباً، ومخرجاً، ومستفزاً للنقاش والمعرفة.

المشهد السابع / ديمقراطية السوق

السعداوي متوسطاً صالة مقر مسرح الصواري في العدلية، مجموعة من الشباب تمور في أروقة المقر. السعداوي يقابل كل من يمر أمام ناظره بسؤال متكرر وبأسلوبه الكارتوني المضحك: اشرايك في الديمقراطية؟

لا ينتظر السعداوي لكي يسمع الجواب. إن سؤاله أشبه بمناورة خبيثة، ينهال من السعداوي بعدها سيل من اللكمات.. أو عفواً الكلمات: « عن أي ديمقراطية تتحدث.. عن ديمقراطية السوق (...) هذه الديمقراطية التي ستأتي لنا بالشركات المتعددة الجنسيات».

كرّس السعداوي العقدين الأخيرين من مسيرته المسرحية، في توجيه النقد اللاذع للحضارة الغربية، وإلى النظام العالمي الجديد والوجه القبيح للإمبريالية المعولمة، وفي نخر جوف شعارات «العالم المتحضر». لقد تحوّل السعداوي من الرمزية والجمالية إلى الواقعية والمباشرة.

المشهد الأخير/ هل مات السعداوي أم قتل؟

أغلق القبر ونثر التراب – مات عبدالله السعداوي– تاركاً ورائه أرثاً ثقيلاً. السعداوي هو الفقيد الأخير لمسرح الصواري، لقد مات كثرٌ قبله معنوياً، دفنت مواهب كان لها أن تشكّل نقلة في مسيرة الصواري الاستثنائية. إن السعداوي الزاهد في الحياة كان شخصية استثنائية لم تمتلك أي مطامع دنيوية سوى المسرح، إن كل من يبكي السعداوي إنما يبكي الإيثار والتفاني والإخلاص للتجربة، في ظل واقع مرير تقتلع جذور المسرح لتبنى مكانه قواعد خرسانية رمادية مقيتة، أخشى أن يكون السعداوي المحارب الأخير.

التقدمي

التقدمي العدد 196 ـ مارس 2024 السنة 22 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

مفتاح صول

علي الستراوي

إلى مجيد مرهون في موسيقا الحلم

كاني بك بين أحلامنا ..
عازف السيكسفون يغني
يشدُّ على جرحنا بموسيقا الحياة
زمن طويل الحكايات ..
بغيض الأمل في الذاكرة
مرَّ من هنا ..
يجرُ عربة ليس لها اطارات
وليس لها ما لنا في الملح من سلوى
أربعة وعشرون عاماً ..
كثقل الحديد على صدر أيامنا
أو كنبع ماء جفّ في بطن الساقية

***

رأيتك في الحلم كما عهدتك ..
تسامرُ وجعك بمفتاح – صول –
وتدنو من سرب للحمام الغريب
لترمي بفتات الخبز كي لا تجوع
ليس لها قدرة على البكاء
وعلى قطع سرة الجوع..
ليس لها ..
سوى الخوف
وليس لزوادة السنين قدرة على النسيان ..
تطاول الحصى على قدميك
فلاذ الهواء بك كجدار صمت
صلد تحمّلت فيه ثقل العاصفة
وثقل الجراح التي ادمت قدميك
عاشق لاترى في الجهات غير النجوم
سنين وكفيك تمسكان بدمع الغريق
وانت الغريق تسرد على زائريك الحكايا..
تمدُّ الطريق بالطريق كي لا نتيه

****

فضاء الليالي ملائكة الفجر الجديد
كنتَ لها حارساً ..
تجادل أيامها بفيض بحر أسير
لا الموج غسل أخطائه ..
ولا النخل المجاور للغريب ..
أتي قبل رحيلك في الغياب
تركت لنا جرحنا القديم ..
فانحسر البحر عن الجزر ..
ولم يعد لنا طاقة للبقاء
لأن الماء تحايل على صبره
وعاد من جديد يزفّ بألحانك
ذاكرة لا تغفو ولا تنام
لتلك العروس التي انتظرتك
وفوق السفين البعيد ..
وقفت تلوح لنا بالبقاء .
تجادل حزناً بحلم السنين العجاف
هل لنا ان نعود ؟
وهل ساريات عرائس البحر
على عهدها تجر الخيول ..
وتحلب النياق ..
بميلاد عودة البعيد من الغياب؟